

المطران عبده خليفة
رئيس أساقفة أستراليا
للموارنة سابقاً

الإنسان

في المجمع الفاتيكاني الثاني

www.christianlib.com

موسوعة
«عظماء المسيحية في التاريخ»
دراسات متخصصة

الإنسان
في المجمع الفاتيكاني الثاني
٣

الطبعة الأولى ١٩٩٧

منشورات
المركز الرعوي للأبحاث والدراسات
الرئاسة العامة للهيكلية الأنطونية المارونية
دير مار روكز- الدكوانة- لبنان

حقوق الطبع والنشر محفوظة
للهيكلية الأنطونية المارونية

المطران عبده خليفة
رئيس أساقفة أستراليا
للموارنة سابقاً

الإنسان في المجمع الفاتيكاني الثاني

موسوعة
«عظماء المسيحية في التاريخ»
دراسات متخصصة

٣

مؤلفات المطران عبده خليفه

- ١- تاريخ أحمد باشا الجزائر، بيروت ١٩٥١.
- ٢- فهارس مخطوطات المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٢.
- ٣- جواب السائل لتهذيب المسائل لابن خلدون، بيروت ١٩٥٤.
- ٤- كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبه، بيروت ١٩٥٦.
- ٥- نشيد الكون لتيار دي شاردن - ترجمة مع المطران فرنسيس البيسري، بيروت ١٩٥٨.
- ٦- فهارس مخطوطات الكرسي البطريركي - بكركي - بيروت ١٩٦٢.
- ٧- كتاب الهفت والأظلة مع الاستاذ عارف تامر، بيروت ١٩٦٣.
- ٨- فهارس المخطوطات السريانية في الكرسي البطريركي - بكركي - بيروت ١٩٦٩.
- ٩- مجلة المشرق: مقالات ونشر مخطوطات من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٧٠.
- ١٠- الجو الالهى لتيار دي شاردن - ترجمة مع الاب جورج رحمة الانطوني، بيروت ١٩٩٥، ١٩٧١.
- ١١- اجتماعيات ١، بيروت ١٩٨٠.
- ١٢- اليمين واليسار في لبنان في خدمة مَنْ؟ - سدني ١٩٨٣.
- ١٣- معجم المجمع المسكوني الفاتيكانى الثانى مع المطران فرنسيس البيسري، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٨١.
- ١٤- العذراء مريم وقضايا العصر، بيروت ١٩٨٤.
- ١٥- معجم اللاهوت الكاثوليكي لكارل رهنر - ترجمة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٥.
- ١٦- ترجمة نصوص المجمع الفاتيكانى الثانى مع المطرانين يوسف بشاره وفرنسيس البيسري، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩١.
- ١٧- البطريرك الدويهي المؤرخ، جونه ١٩٩٣.
- ١٨- اجتماعيات ٢، جيل ١٩٩٤.
- ١٩- من هو ذلك الرجل: يوسف بن داود، جيل ١٩٩٤.
- ٢٠- ابن الحريري: كتاب منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والاعيان، بيروت ١٩٩٤، جزءان.
- ٢١- العلم والمسيح لتيار دي شاردن، ترجمة بالاشتراك مع الاب جورج رحمة الانطوني، بيروت ١٩٩٤.

المطران عبده خليفه و "إنسان المجمع الفاتيكاني الثاني"

أن أقدم لكتاب "الانسان في المجمع الفاتيكاني الثاني" لمعلّمي ومرشدي المطران عبده خليفه، الذي رعاني وسهر عليّ طوال نيّف وأربعين سنة، فتلك لفظة بنويّة لأبوتّه التي واكبتني ولم تزل لغاية الآن، لا سيّما في الأيام الصعبة التي كان لي فيها المثل في الايمان والرجاء والمحبة، وفي الرجولة والعصاميّة والحنان والعطف. فالوقفة معه هي وقفة مع إنسان تمّ فيه القول: "إنّه رجل الله"، وإنّه الشفافيّة الروحية التي تحدّثك عن انطاكية وقنوبين ومغارة الراهب في نهر العاصي، وعن تراث الكنيسة الجامعة الذي تجسّد في حياة آبائها وملافتها العظام الذين أعطوها من قلبهم وربّوا لها أجيالاً من الكهنة لخدمتها وللشهادة للمسيح فيها وفي العالم أجمع. فهو يحملك الى عالم الرؤيا وكأنّك معه في حضرة الثالوث، ويصقل عقلك بالمبديء اللاهوتيّة والفلسفيّة التي تجعلك تشعر أن مجد الأرض الى زوال، ولا يبقى إلا وجه ربّك الكريم. فحياته كانت دائماً تلك المسيرة نحو المطلق، تخطّي فيها الأنّيّ ليغوص في أعماق الله ويستسلم لارادته القدّوسة من خلال الصعوبات التي عانى منها طوال حياته الكهنوتيّة والأسقفية في لبنان والخارج. ولم أسمع يوماً يردّد إلا كلمة

المؤمن الدائمة: "فلتكن مشيئة الله". فمن هذه المشيئة استمدَّ عصاميّته ومثابرته في العمل الدؤوب، سواء على الصعيد الروحي، أو على الصعيد الفكري، أو على الصعيد الاجتماعي. وكان هاجسه الدائم أن يخدم ربّه وكنيسته بالنبيل الذي تربّى عليه في بيت تراثه الايمان بالله وبلبنان، وان يخدم أخاه الانسان من خلال نظرتة المسيحية العميقة التي تجعل منه شريك المسيرة الخلاصية في هذه الدنيا. ولئن سمحتُ لنفسي أن أقول فيه هذا الكلام وأنا أقدم لكتابه فلأَنّْ إيمانه كان على أساس كلّ ما كتب ونشر، وهو الرجل الذي كان ولم يزل المعلّم والمرشد والباحث والمرجع في العلوم اللاهوتية والفلسفية والاجتماعية والانسانية. ففي دراسته عن "الانسان في الجمع الفاتيكانى الثاني" يكشف لنا عن جوهر الانطروبولوجيا المسيحية التي علمها هذا الجمع، سيّما وان تقدّم العلوم هو على أساس نظرة جديدة لاطلالة القرن الحادي والعشرين، وبنوع خاص هو على أساس رؤية جديدة في ما يختصّ بهذا الكائن الذي ميّزه الله عن سائر مخلوقاته وجعله على صورته ومثاله في الجّد والكرامة. فانسان الجمع هو انسان الرؤيا الكونية التي ترى المسيح في كلّ شيء، وحتى في قلب المادّة المتفاعلة داخلياً بجنان المسيح وفدائه. وان كانت كرامة هذا الانسان على أساس نظرة الكنيسة في عالم تتقاذفه التيارات الملحدة، فان العودة الى الكتاب المقدس، والى آباء الكنيسة وتعاليمهم المجليّة، هي الركيزة

الأساسية في بناء الصرح الفدائي الذي يشارك فيه هذا الانسان من خلال سعيه الى الخلاص وهو يتخطى الخطيئة والألم والموت في الحقول التي يعمل فيها تربوياً وسياسياً واقتصادياً وعلمياً لإبعاد هاجس الاتحاد المعاصر الذي يطرق باب كل انسان في عصر التكنولوجيا وعصر الأقمار الاصطناعية التي تتحدّى أبعاد الكون الشاسع الذي يحدث عن مجد الله اللامتناهي. فالمطران عبده خليفه، في انكبابه على توضيح الرؤيا الجمعية، يضع بين أيدينا كتاب تأمل عميق يعيدنا الى إصالتنا المسيحية الحقيقية ألا وهي إصالة حضور المسيح في كلّ عمل نقوم به. فلا شيء غير مقدّس في نظر المجمع ونظر المطران عبده، بل كلّ شيء هو مقدّس ومقدّس على حدّ سواء، شرط أن نكون واعين الى الرسالة التي وضعها الله على عاتقنا وأقامنا منفذين لها في هذا العالم الذي ينزلق الى الاكتفاء بذاته دون التمحور حول من هو الخالق الفادي والمخلص المحبّ. فالله أوجد الانسان في هذا الكون ليكمل رسالة المحبة التي بشر بها ومات من أجل تحقيقها، وجعله فادياً بدوره للانسانية جمعاء وللكون المحيط به من خلال عمله اليومي، ومن خلال المعاناة التي يعانيتها في مسيرته الخلاصية هذه. فلا خوف على هذا الانسان من تتميم عمله الخلاصي هذا طالما الله يرعاه، وطالما كنيسة المسيح هي الساهرة الدائمة عليه بوحى الروح القدس. ولقد وعى المطران عبده هذه الحقيقة بنظرته اللاهوتية الثاقبة،

خصوصاً وإنه كان أحد اللاهوتيين الكبار الذي مثل كنيسته في هذا المجمع، وكانت له الدراسات المعمقة التي لفتت أنظار قداسة الحبر الأعظم البابا بولس السادس الذي عينه أحد أعضاء اللجنة اللاهوتية العالمية. وهو أيضاً كخبير مجمعي شدّد على تراث كنيستنا المشرقية فكان دوره فعالاً في إعداد الدراسات التي ساهمت في توضيح الروحانية المارونية في قلب الكنيسة الجامعة. من هنا فان لهذا الكتاب بعداً روحانياً وبعداً تاريخياً، ومن هنا أيضاً التأكيد على أنّ المطران عبده، في عمله هذا، يكشف لنا عن هوية الانسان الحقيقية التي هي هوية الخلاص في سبيل إنسانية تعيش فداء المسيح وخلاصه وهي تطلّ على الألف الثالث لولادة يسوع المسيح.

الاب جورج رحمه

الراهب الانطوني

الرئاسة العامة للرهبانية الانطونية المارونية

دير مار روكز - الدكوانه - لبنان

١٠ كانون الأول ١٩٩٦

مقدّمة عامّة

المفهوم الكتابي واللاهوتي والفلسفي والآبائي للانسان
قبل المجمع الفاتيكاني الثاني

منذ ان كان الانسان وسؤال واحد يتردّد على لسانه:
من أنا، ومن اين اتيت، وما هو مصيري؟ هذا السؤال الذي
طرحته الفلسفات القديمة والمعاصرة على حد سواء، هو
نفسه السؤال الذي طرحه اللاهوت المسيحي منذ أن كانت
بشارة السيد المسيح، والذي حاول جاهداً أن يجيب عليه
انطلاقاً مما جاء في العهدين، القديم والجديد، وفي رسائل
القديس بولس والرسل، وعند آباء الكنيسة جميعاً. ونظراً
لتطوّر الرؤيا اللاهوتية حول الانسان من خلال تطوّر العلوم
الكتابية والعلوم الوضعية، حاول آباء المجمع الفاتيكاني الثاني
أن يطرحوا مفهوماً جديداً للانسان يكون بمثابة
انطربولوجيا كنسية جديدة تتوافق وتقدّم العلوم جميعها،
وذلك استناداً الى الدور الذي يجب أن يلعبه الانسان نفسه
انطلاقاً من مسؤولياته التاريخية في مسيرة الخلاص التي رسمها
الله له. فمحرورية الله (Théocentrisme) أعطت دفعاً كبيراً
لمحرورية الانسان (Anthropocentrisme)، والصراع الذي كان
قائماً بين الفلاسفة واللاهوتيين إلتقى في التشديد على دور

الانسان المميّز في هذا الكون بحيث أن هذا الانسان لم يعد مسحوقاً كلياً أو كعنصر من عناصر هذا الكون وحسب. لذلك رأينا أنه من المفيد أن نقدّم لدراستنا عن الانسان في المجمع الفاتيكاني الثاني بهذه المقدمة العامّة عن المفهوم الكتابي والآبائي للانطروبولوجيا المسيحيّة المميّزة، معتبرين أن دراسة كهذه ستكون مفيدة جداً في سياق تحديده الانسان المعاصر.

١- المفهوم الكتابي واللاهوتي للانسان.

الكلام على "أنطروبولوجيا مسيحيّة" في الكتاب المقدّس، بالمعنى الحصري للكلمة، ليس واضحاً نظراً الى ان الانسان لم يكن مقصوداً مباشرةً، وبالتالي لم يكن معتبراً كائناً اجتماعياً مستقلاً. فالكتاب المقدس يشدّد على العلاقة القائمة بين الخالق وخليقته، سواء تكلم عن أصل الانسان، أم عن توجّهاته الماورائيّة، أم عن حالته الواقعيّة، أم عن علاقته بالعالم وبالطبيعة، وذلك من خلال مسيرة تاريخ الخلاص. من جهة أخرى، فإن عمل الله في العالم، حسب ما جاء في رسائل القديس بولس، إنّما هو سرٌّ (Mysterion) غايته الانسان نفسه. لذلك نرى الانسان في كلّ ما جاء في الكتب المقدّسة من خلال نظرة الله له وغايته فيه. ورغم ذلك، فإن هذا الانسان يبقى دائماً لغزاً بالنسبة الى العقل

البشري، وليس بالامكان سبر غوره وفهمه بالعمق إلا من خلال الدور الذي أعطاه إياه الله في هذا الكون.

إنطلاقاً من هذا الدور سنرى ما هي المعطيات التي يقدمها لنا العهدان، القديم والجديد، وبالتالي اللاهوت الكتابي في مجمله.

أ- الانسان في العهد القديم.

بالرغم من التباين والفوارق التاريخيّة والأديّة الكبيرة التي نجدها في نصوص العهد القديم، وعلى جميع الأصعدة، فإنه بإمكاننا التأكيد على وحدة الرؤيا في هذه النصوص حول الانسان. إنها مبنية على الايمان بالخلق، وبالتالي على الرؤيا الخاصة للعهد القديم حول التاريخ والشرعية. وانطلاقاً من ذلك نرى النصوص تشدّد على أنّ جميع الكائنات هي مخلوقة من الله، وحتى الانسان نفسه. فتعليم العهد القديم، بتفاصيله، يركّز على ذلك. ولكن، أن يكون الانسان مخلوقاً من الله، فذلك لا يعني أن هذا الانسان هو مستعبد كلياً لله ولا حرية له، بل إنه على صورته ومثاله، ولقد ميّزه الله بأن يكون ملكاً على جميع الكائنات بما فيها الحيوانات والطبيعة ذاتها. وكثير من الآباء، وبنوع خاص الآباء الاسكندرانيين والقديسين ايريناوس وجرغوريوس النيصي،

فهموا خلق الانسان "على صورة الله ومثاله" ١ بطريقة أن الطابع الالهي هو في جوهر الانسان الخالد مثل الله ٢. فعلى صورة الله ومثاله تعني نعمة خاصة بالانسان وميزة فوق طبيعية. كذلك فان الصورة والتماثل يجب أن لا ننظر إليهما في الشكل الخارجي، ولا حتى في البراءة الأولى، ولكن في طبيعة الانسان وبُنيته التي تنتج عن فعل الخلق ذاته، الأمر الذي يعني أن هذا الانسان هو كائنٌ يمثّل الله في العالم المخلوق. فبين جميع المخلوقات الحيّة إنّ وحده الذي يتوجّه إليه الله بالكلمة كما جاء في سفر التكوين ٣، وبذلك يكون التماثل أو التشابة مع الله هو المسؤولية الشخصية التي حصل عليها جميع البشر من خلال الحرية التي أعطيت لهم. وهذا، في الواقع، الذي يجعل البشر متساوين أمام الله، مهما كان عرقهم أو جنسهم، وبالتالي الذي يحدّد دور الانسان في هذا العالم ٤.

كذلك نجد في نصوص متعدّدة وقديمة أن الانسان هو أشرف خلق الله، وأن جميع ما أوجده الله هو لخدمته ٥.

١. تكوين، ١: ٢٦.

٢. تكوين، ١: ٢٦؛ ٩: ٦.

٣. تكوين، ١: ٢٨ - ٣٠؛ ٢: ١٧.

٤. تكوين، ١: ٢٧.

٥. تكوين، ١: ١ - ٢، ٤؛ ٢: ٢٥ - ٢٥.

فالتماثل أو التشابه مع الله يجب أن نراه من خلال ملكية الانسان على جميع المخلوقات الأخرى، الأمر الذي جعل آدم يُعطي إسمًا لكل مخلوق^٦. من هنا، فإن العهد القديم يجعل من الانسان محور الخلق^٧، وطبيعته تظهر جوهره ككائن مادي أو نفساني أو عضوي أو روحي أو شخصاني.

من جهة أخرى فإن ما جاء في الفصل الثاني، العدد السابع، من سفر التكوين: "وإنَّ الربَّ الاله جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ في أنفه نَسَمَةً حياة فصار الانسان نفساً حيّة"^٨، يعني أن الكائن البشري هو مركب من عنصرين، عنصر مادي أو أرضي يسميه العهد القديم "الجسد"، وعنصر روحي يسميه "النفس"، وغالباً الروح. والملاحظ هنا أن الانسان هو "نفسه" ذاتها، ولا يملكها ملكاً. فالنفس تعني الانسان ذاته وليست شيئاً زيد عليه. ولكن الوجود البشري ركيزته "الجسد" الذي بإمكانه أن ينال الحياة التي لا يعطيها إلا الله وحده. فكما أن الوجود لا يتحقق إلا بأمر الله بالذات، كما جاء في سفر أيوب وسفر المزامير^٩، كذلك المحافظة على هذا الوجود لا تكون

٦. تكوين، ٢٦:١، ٢٨ - ٣٠؛ ١٩:٢ ...

٧. مزمو، ٧:٨ - ٩.

٨. تكوين، ٧:٢.

٩. أيوب، ١٠:١٢؛ مزمو، ١١٩:٧٣.

إلاّ بارادة الله وعمله فينا. فاذا أخذ الله الروح من الجسد أصبح هذا الجسد رماداً^{١٠}. وهكذا فالجسد يكون بدون حياة وعرضة لكلّ شيء^{١١}، ولكنه ليس فاسداً ولا شريراً، ولا مبدأ شرّ كما يدّعي ذلك المذهب المانوي القائل بأنّ الكون خاضع لمبدأين متعارضين أحدهما الخير والآخر الشرّ، والذي كان منتشرأ في شرقنا القديم.

فالحياة التي يمنحها الله للانسان تتمثل بالنفس والروح على حدّ سواء. والنفس تعني الحياة الواقعيّة، وهي طبيعيّة وملتبقة بالجسد، ومأثثة لأنّها موجودة في الدم^{١٢}. وهكذا فان الحياة تصبح نفساً بقدر ما تمثّل المبدأ الفاعل في الانسان^{١٣}، وبنوع خاص مبدأ الادراك والأحاسيس الماديّة، وحتى العواطف الروحيّة والوجدانيّة. كذلك فانّ كلمة "نفس" تعني أيضاً التوق الروحي الى الله^{١٤}. وعندما يتكلّم الكتاب المقدّس عن "الروح" بالمعنى الحسّي والعاطفي، فانه يبقى في إطار حياة الفكر والارادة^{١٥}. وبمعنى آخر فان

١٠. أيوب، ٤:١٤؛ مزمور، ١٠٤:٢٠ ...

١١. أشعيا، ٤٠:٦؛ مزمور، ٣٩:٧٨.

١٢. تكوين، ٦:١٧؛ ٩:٤؛ لاويين، ١١:١٧ ...

١٣. الملوك الاول، ١٧:٢١ ...

١٤. مزمور، ٤٢:٢ ...

١٥. أشعيا، ١٩:٣؛ ٢٦:٩؛ أيوب، ٣٢:٨؛ حزقيال، ١٣:٣.

"الروح" هي حالة خاصة بالالتزام بالله^{١٦}. وهكذا، فبينما "النفس" تعني الحياة الخاصة في الشخص البشري، إذا "بالروح" تعني الحياة فوق الشخصية المتعلقة مباشرة بالله، والتي تدفع الانسان الى القيام بالأعمال^{١٧}. ولكن، مهما كان التمييز في مجال عمل الاثنين معاً، فان النفس والروح يقيان مرادفين لبعضهما غالب الاحيان^{١٨}.

بالاضافة الى النفس والروح، هناك كلمة مهمّة جداً يستعملها العهد القديم للدلالة على الانسان، ألا وهي كلمة "قلب". فالقلب هو مركز الشهوات والعواطف، وكذلك مركز المعرفة والجهد الروحي. إنه يعني داخل الانسان، أي مركزيته وعمقه الداخلي، بينما الجسد يعني الخارج^{١٩}. إنه المركز الاخلاقي والديني^{٢٠}، ومنه تأتي نوايا الاعمال^{٢١}، وفيه تؤخذ القرارات الشخصية^{٢٢}. لذلك هو واحد مع الضمير، فالقلب يعني الضمير، والضمير يعني القلب. وفي مفهوم العهد القديم إن القلب هو موضوع الخطيئة وليس

١٦. خروج، ٣٥:٢١؛ عزرا، ٩:٧؛ حجاى، ١:١٤.

١٧. أيوب، ٣٢:١٨.

١٨. أيوب، ١٢:١٠؛ ابن سيراخ، ١٦:١٧.

١٩. الملوك الاول، ١٦:٧.

٢٠. تكوين، ٢٠:٥...؛ يشوع، ٢٢:٥؛ حزقيال، ١١:١٩.

٢١. تكوين، ٦:٥؛ خروج، ٣٦:٢.

٢٢. الملوك الاول، ٨:١٧.

الجسد. إنه الدافع الى الشهوة، وهو الذي يحرك على الخطيئة. إنه الانسان بكل ما فيه. فالقلب يعني الانسان، والانسان يعني القلب^{٢٣}.

من جهة أخرى، فلا النفس ولا الروح ولا القلب هي في صراع مع الجسد. نعم، هناك فوارق بينها جميعاً، وربما صراع واقعي في مجرى الحياة؛ ولكن النفس والروح والقلب والجسد تعني جميعها الانسان بكامله^{٢٤}، وليس أجزاء منفصلة عن بعضها البعض. كل واحد من هذه الاجزاء له دوره الخاص، ولكنها جميعها تشكّل الانسان الكامل. الثنائية والثلاثية لا وجود لها في العهد القديم، وصورة الانسان هي صورة كاملة ومتكاملة. أمّا الصراع بين المادّة والروح فجنده عند حاخامات اليهوديّة المتأخّرة وفي جماعة قمران حيث شغلتهم مشكلة خلود النفس الى حد بعيد، وبنوع خاص سيطرة النفس على الجسد. فالرجل المتدين في اسرائيل كان يؤمن أن نفسه خالدة، وأن له وجوداً بعد الموت^{٢٥}، بينما

٢٣. تكوين، ٥: ٦؛ ٨: ٢١؛ إرميا، ٩: ١٧؛ ابن سيراخ، ٩: ٩؛ مزمور، ٢٧: ٢٢؛ امثال،

١٥: ٢٣ - ١٧.

٢٤. تكوين، ٣: ٦؛ أشعيا، ٣: ٣١؛ أيوب، ٤: ٣٣ — ٦: ٣٤؛ مزمور ١٤٦: ٤؛

٩: ٦٣؛ ٢: ٢٠٠.

٢٥. تكوين، ١٥: ١٥؛ ٢٥: ٨؛ ٤٧: ٣٠.

نفوس الموتى في الجحيم، التي لا أجساد لها، ليس لها وجود حصري، بل لها وجود خيالي^{٢٦}.

على صعيد آخر، فالإنسان ككائن بشري، لا يعيش في عزلة فردية، ولكنه يعيش ضمن جماعة تفرضها طبيعته الاجتماعية. فاليهودي مرتبط بجماعته وبقبيلته وبشعبه، ومتضامن مع الجميع إن في الخلاص أو في الهلاك. وهذا التضامن لا يعني التبعية، بل اللقاء في الحب مثل لقاء آدم وحواء، ضمن احترام شخصية كل منهما^{٢٧}. وحتى الإنسان "العبد"، بالنسبة إلى العهد القديم، ليس محتقراً، بل هو مدعو من الله بدعوة خاصة^{٢٨}. فدعوة الله لكل إنسان هي شريعته وهي وجوده وهي كمال شخصيته. وهذه الدعوة هي تحديده الفردي، وعلى الإنسان أن يتجاوب مع هذه الدعوة بأعماله وبممارسته اليومية. ورغم اندماجه في المجتمع، فالإنسان يبقى في حوار شخصي مع الله من خلال النعمة التي يستمدّها منه^{٢٩}.

٢٦. أشعيا، ٩: ١٤...؛ أيوب، ١٠: ٢١...؛ مزمور، ١١: ٨٨... .

٢٧. تكوين، ١٨: ٢ - ٢٠.

٢٨. تكوين، ١٠: ٣٥؛ خروج، ٢: ٣١؛ أشعيا، ٤: ٤٥.

٢٩. تكوين، ١٦: ٢... .

كذلك فإن العهد القديم، في كلامه عن التاريخ، يؤكد على فكرة الحوار بين الله والانسان. فطبيعة التاريخ هي، في الزمن، فعل الله بالذات الموجّه الى الانسان، إن فرداً أو جماعة. وفكرة العبرانيين الاساسية هي توعية الضمير ليكون التزام الفرد مطلقاً أمام الله وأمام ارادته. وبما ان عمل الله هو كلياً حرّ وغير مدرك، فعلى الانسان ان يتجدّد أمام الله، وخصوصاً في مبادئه. ففي العهد القديم ليس هناك من تقييم خاص للشخصية الانسانية، إنما العمل بارادة الله هو الاساس لأنّ الله لم يزل يتوجّه الى كلّ فردٍ ليحسّه على خلاصه. لذلك فإن الزمن، والتاريخ بنوع خاص، هما الفرصة التي يعطيها الله للانسان لكي يتقدّس. والله ينتظر من هذا الانسان الجواب على دعوته بالطاعة الكاملة له لأنّه هو سيّد التاريخ والزمن^{٣٠}.

هذه الطاعة عليها ان تثبت جدارتها في تصرفها وسلوكها بالنسبة الى العالم والى الطبيعة. فالسيطرة التي أعطاها الله للانسان على الاشياء والكائنات الحية يجب أن لا تنعكس تجاوزاً، بل عليها أن تسهر على ارادة الكون الذي أوكله الله إليها. فاخلاقية العمل في العهد القديم هي أخلاقية الانسان الذي جعله الله مسؤولاً عن الطبيعة. والايمان بالخالق يُلغي الايمان بآلهة الطبيعة. والخوف من

٣٠. الملوك الاول، ٢٢: ١٥؛ عزرا، ٦: ٦.

الطبيعة ومن قواها استُبدل باحترام مخلوقات الله^{٣١}، والسعادة التي تعطيها^{٣٢} أصبحت أساس العهد القديم أمام العالم. فالسهر على الطبيعة وعلى التاريخ من قبل الله هما وحدة متكاملة لارادة الله التي تعطي السلام الداخلي والسعادة الدائمة^{٣٣}. والخطيئة، التي هي رفضٌ وعدم طاعة لدعوة الله، قد جعلت من هذا السلام وهذه السعادة غير مستمرين لأنها رفضت أن يكون الله هو المحور الأساسي للخلق. فالانسان الذي اكتمل في حبّ الله، وتحرّر به، لم يخسر التماثل والتشابه مع الله، بل انحرف عن ارادة الخالق، وكانت النتيجة وقوعه في الامراض والموت، وخصوصاً في سيطرة الشهوة عليه التي جعلت الفرد ذاته والمجتمع في خلل دائم. ومع ذلك، فإن عدل الله وحقّه، الذي يحكم ويسامح، لم يتغيّر بالنسبة الى الانسان. لذلك تنازل وتوجّه الى الآباء، ومن خلاصهم الى الشعب كله، بواسطة الوصايا التي أعطاها له. فالتوراة أصبحت، بطريقة ما، شكل الحوار الدائم بين الله والانسان. وهكذا لم يعد الشعب هو المعني كجماعة وحسب، بل أصبحت المسؤولية على كلّ فردٍ انطلاقاً من قول الله: "واجبٌ عليك" من خلال الوصايا التي أعلنها له. من هنا قناعة اليهود بأنهم شعب الله

٣١. تفسّية الاشتراخ، ٩:٢٢ - ١١:١١ ابن سيراخ، ١٩:١٩.

٣٢. الجامعة، ٨:١٥؛ ٩:٧؛ نحميا، ٨:١٠.

٣٣. مزامير، ٢٤ و ١٠٤ و ١٣٥ و ١٤٧.

المختار^{٣٤}، المقدّس، الذي تكرّس لله وحده^{٣٥}، والذي عليه أن يقوم بخدمة خاصّة للبشريّة جمعاء. لذلك كلّ شريعة هي من الله، والتاريخ لا يحكمه إلاّ الله: "أنا الربّ الهك الذي أخرجك من مصر"^{٣٦}. وكلّ تشريع هو في ارادة الله التي هي الشريعة المطلقة. لذلك فالشريعة مقدّسة ولا يمكن تغييرها، وكلّ مخالفة لها يدين الله عليها كجرّيمة ضدّه بالذات^{٣٧}. من جهة اخرى فشريعة العهد القديم تعتبر الفرد كشخص بقيمته الانسانيّة، وحتى الغريب أو العبد^{٣٨}. والقيم المادّية لا تفضّل على الانسان كما في غير ديانات، بل القيمة هي حياة الفرد بالذات^{٣٩}.

على صعيد آخر فان محبة القريب تأخذ قيمة كبرى كمحبة الله في العهد القديم^{٤٠}. والشريعة تشجّع المبادرة الشخصية في هذا الحقل. غير أن الرجل يتميّز عن المرأة، وهو يتقدّمها، وكذلك الرؤساء والمحاربون والرجال العظام

٣٤. خروج، ١٩: ٥.

٣٥. الاحبار، ١٩: ٢؛ تثنية الاشتراع، ٦: ٧.

٣٦. خروج، ٢٠: ٢؛ الاحبار، ١٩: ٤؛ ١٠.

٣٧. خروج، ٢٣: ١ - ١٩: ١٥؛ ٣٧؛ تثنية الاشتراع، ١٦: ١٨ - ٢٠.

٣٨. الاحبار، ١٩: ٣٣...؛ خروج، ٢١: ١ - ١١: ٢٦: ٢٠....

٣٩. خروج، ٢١: ٣٣؛ ٢٢: ١٤.

٤٠. الاحبار، ١٩: ٩ - ١٨: ٣٤.

يتميّزون عن عامّة الشعب^{٤١}، ضمن وحدة البشريّة جمعاء. وعهد نوح الذي يضمّ الشعوب الوثنيّة ايضاً لا يعطي بركة الشعب المختار لها إلّا في آخر الأزمنة^{٤٢}.

أمّا في ما يختص بالعلاقة مع الله فهي علاقة صارمة تفرض على الانسان اتّباع الشريعة بحذافيرها. فحبّ الله يجب أن يقابله حبّ الانسان له، والتقوى هي ضروريّة ومفروضة^{٤٣}. لذلك كان الله يضرب شعبه عندما يخون عهده^{٤٤}، خصوصاً عندما يتعلّق بقشور الشريعة وبمادّيّتها. ولقد كانت الضربة قاضية عندما يخون هذا الشعب الله بالذات فيعبد آلهة أخرى. من هنا كانت تقوم قيامة الانبياء على الشعب عندما يخون عهد الله ويتعلّق بآلهة غريبة. ولقد كانت دعوة هؤلاء الانبياء الى تجديد الايمان بالله والعودة إليه. والمزامير جميعها تعبّر لنا عن الصورة للانسان المتعلّق بالله والشعب بكامله^{٤٥}. كذلك كتب الحكمة والامثال. وكلّ هذه كانت تشيد بمجيء المسيح المخلّص والمحرّر الذي كان مزماً أن يخلّص شعب الله من عبوديّة الشعوب كافّة.

٤١. تكوين، ١٣:٤٥.

٤٢. أشعيا، ٢:٢ - ٤:٤٥ - ٢٢:٢٤ - زكريا، ٩:٩ ...

٤٣. مزمو، ٢٣:٧٣ - ٢٨.

٤٤. تكوين، ٢٢:١٨ - ٣٢.

٤٥. مزامير، ٣٢؛ ٥١؛ ٦٣؛ ١١٩ ...

وهكذا نستنتج ان الانسان في العهد القديم هو انسان
العلاقة مع الله. فالله هو المحور، والانسان مكلف من قبله
بالسهر على الكون والمخلوقات لأنه صورة الله ومثاله.
وكلّ تجاوز في علاقته مع الله كان سبباً لضربه وللاقتصاص
منه، خصوصاً عندما يتعلّق بآلهة اخرى ويتنكّر لعهد مع
الله. فالانسان حرّ، مستقلّ، له قيمة خاصّة به، ولكن من
خلال علاقته الدائمة بالله وحواره معه. ومن اجل الخلاص
الابدي عليه ان يسير حسب شريعته الالهية.

وهذه الصورة لم تتوضح كلياً إلا في العهد الجديد.
من هنا كان مجيء المسيح صفحة جديدة في تاريخ الخلاص.

ب - الانسان في العهد الجديد.

لقد أخذ الانجيليون بشخصيّة يسوع المسيح السامية
والمتفوّقة، وبعمله الخلاصي، الى حدّ أنهم لم يهتموا بالكلام
على الانسان إلاّ بطريقة غير مباشرة. أمّا القدّيس بولس
فعندما يتكلّم عن القدّوس الذي صعد وجلس عن يمين الآب
السماوي بعد أن افتدى الانسان، فإنّه يشدّد على دور هذا
الانسان في الخلاص نفسه، مستعملاً لغةً يونانيّة تتوافق
ومفهوم العهد القديم لكي يقدّم للوثنيين مفهوم البشارة

الجديدة التي أتى من أجلها المسيح. ففي المسيح يسوع، "صورة الله غير المنظورة"^{٤٦}، قد ظهر النموذج الحقيقي للإنسانية التي أرادها الله في نطاق مسيرة الخلق وحتى آخر الأزمنة^{٤٧}. فالمسيح لم يكن انساناً كما جميع البشر، ولكنه في الوقت عينه كان يعرف سرّ هذا الانسان بخبره وشرّه، معلناً عنه ومحققاً إياه في شخصه هو^{٤٨}. لا شيء انسانياً كان غريباً عنه، ولكنه كان يتميز بشخصية وبعظمة ساميتين. وعندما أعلن أنه "ابن الانسان" فكان يريد بذلك أن يؤكد للناس أنه المخلص المنتظر. ولم يأت ليقيم مملكة قوّة كما اعتقد اليهود، بل ليحمل بؤس الإنسانية الخاطئة بصفته "خادم الله". فانسانيته كانت تجدد في طبيعته الالهية كما لها وسموها^{٤٩}.

الانسان، في وجوده الواقعي، هو بعيد كل البعد عن الصورة التي أعطاها المسيح له. وبدون شك، فإن العهد الجديد، كما العهد القديم، يشدد على ان الانسان هو على

٤٦. مزامير، ٣٢؛ ٥١؛ ٦٣؛ ١١٩ ...

٤٧. ٢ كورنثوس، ٣: ١٨؛ الى الرومانيين، ٨: ٢٩؛ كولوسسي، ٣: ١٠... الى الافسيين، ٤: ٢٠ - ٢٤.

٤٨. يوحنا، ٢٥: ٢؛ مرقس، ٨: ٢٠ ...

٤٩. فيليبي، ٢: ٧...؛ الاولى الى تيموتاوس، ٢: ٥.

صورة الله ومثاله، لكنَّ هذه الصورة هي في تحديد هويّته^{٥٠}.
 أمّا عند القديس بولس، فإن القدّوس الذي رُفِعَ عن يمين
 الآب، والذي يعمل من داخل كنيسته، فهو محور تبشيره،
 ولا يتكلّم عن الانسان إلّا عندما يتكلّم عن الخلاص وعن
 فداء المسيح له. وعندما يستعمل القديس بولس كلمات من
 الهيلينيّة والغنوصية مع الكلمات التي يوردها من العهد
 القديم، فيبقى الوحي الالهي محور تبشيره، وهو في ذلك
 يهدف الى اقناع الوثنيين والغنوصيين على حد سواء بلغتهم
 نفسها. وهنا يشدّد ويقول: لقد ظهر في المسيح يسوع،
 "صورة الله غير المنظور"^{٥١}، النموذج الكامل للانسانيّة كما
 ارادها الله في الخلق وفي الزمن^{٥٢}. نعم، لم يكن المسيح
 انساناً للآخرين، ولكنّه كان يعرف في داخل الانسان
 واسراره الخاصة من جهة معرفة الخير والشرّ، ولقد حقّق كلّ
 ذلك في شخصه هو^{٥٣}. فلا شيء إنسانياً كان غريباً عنه. وفي
 قوله إنّهُ "ابن الانسان"، كان يعني أنّه المسيح المرسل من لدن
 الآب. ومع ذلك، فلقد أتى لا ليقم مملكةً أرضيّة قويّة

٥٠. ١ كورنتوس، ١١: ٧؛ رسالة يعقوب، ٣: ٩.

٥١. كولوسي، ١: ١٥؛ الثانية الى القورنثيين، ٤: ٤.

٥٢. ٢ كورنتوس، ٣: ١٨؛ الى الرومانيين، ٨: ٢٩؛ كولوسي، ٣: ١٠؛...

أفسس، ٤: ٢٠-٢٤.

٥٣. يوحنا، ٢: ٢٥؛ مرقس، ٨: ٢٠.....

بالمفهوم البشري، ولكن ليتحمّل، كخادمٍ لله، بؤس البشريّة
الغارقة في الخطيئة^{٥٤}.

والانسان، في وجوده الواقعي ايضاً، هو بعيدٌ كلّ البعد
عن هذه الصورة السامية التي أعطها المسيح. فالعهد الجديد،
كما العهد القديم، يؤكّد على أنّ الانسان هو على صورة
الله ومثاله، وصورة الله هذه هي بُنيته الجوهرية^{٥٥}. غير أنّ
التحديدات الفلسفية هي بعيدة كلّ البعد عن فكر الانجيليين.
بينما القديس بولس، في رسالته الاولى الى تلميذه تيموتاوس،
يعلن له ما يلي: "فليقدّسك إله السلام، ولتبقى روحك
ونفسك وجسدك بدون عيب بانتظار عودة الرب المسيح
يسوع". فيظهر من هذه الجملة أنّ الرسول، رغم مفرداته
التي تحمل معان كثيرة، يفرّق بين ظواهر الجسد والنفس
والروح. غير أنّ هذه الظواهر لا تنفي وحدة الانسان
الكاملة. فالجسد والنفس والروح ليست أقساماً متجاوزة أو
متلاصقة أو متناقضة، بل هي تظهر جوانب مختلفة لحقيقة
الانسان الشخصية. والعهد الجديد يتكلّم عن الانسان
الواحد في الكلّ: الانسان المسؤول أمام الله والعالم،
والذي يرى وجوده في قلب كلّ شيء. يتمثل بجسد حركيّاً،
أما روحياً فنفسه وروحه تكملان مسيرته الخلاصية.

٥٤. فيلبي، ٢: ٧...؛ الاولى الى تيموتاوس، ٢: ٥.

٥٥. ١ كورنتوس، ١١: ٧؛ يعقوب ٣: ٩.

إذن، الانسان، في تحقيق وجوده الشخصي، ليس الانسان الذي يحقق ذاته بذاته بقدر ما هو متعلق بالله مباشرة، إمّا بطريقة ايجابية، وإمّا بطريقة سلبية. ولكن ذلك لا ينفي عنه الحرية المستقلة التي من خلالها يتخذ موقفاً من الله. وهذه الحرية، رغم كونها تميزه عن سائر المخلوقات وتحدد مسيرته الوجودية، غير أنها تبقى تحت النعمة الالهية^{٥٦}. والحرية هنا تعني قراراً شخصياً في الالتزام بارادة الله^{٥٧}. أمّا الوجود المسيحي فلا يتحقق إلا بالحرية نفسها التي من خلالها يتوجه الانسان نحو الله^{٥٨}، إمّا مطيعاً وإمّا رافضاً. فآدم مثلاً، بقراره الرفضي، أخطأ ومعه ابتدأت القطيعة مع الله، أعني قطيعة الانسان نفسه التي حملت البغض والبؤس على جميع أنواعه^{٥٩}. هذه القطيعة التي يسميها القديس يوحنا والقديس بولس التناقض بين المادّة والروح^{٦٠}، أو التناقض بين الجسد والروح. والجسد هنا لا يعني الوجود المادي، بل حالة وجودية خاطئة لأنه أداة

٥٦. كولوسي، ١: ٢٤؛ ٢ كورنتوس، ٤: ١٧؛ بطرس الاولى، ٥: ٢؛ ١ كورنتوس،

١٥: ١٠؛ فيليبي، ١: ٢٩... ٢: ١٢... ٤: ١٣.

٥٧. الى الغلاطيين، ٥: ١٣؛ بطرس الاولى، ٢: ١٦.

٥٨. ٢ كورنتوس، ٦: ٢.

٥٩. الى الرومانيين، ٥: ١٢؛ يعقوب، ١: ١٨.

٦٠. الى الرومانيين، ٨: ٤ - ١٠؛ الى الغلاطيين، ٣: ٣؛ ٥: ١٦؛ ٦: ٨؛

يوحنا، ٣: ٦؛ ٦: ٦٣.

الخطيئة^{٦١}، أي الوجود بدون الله، الوجود المسيطرة عليه الخطيئة^{٦٢}. لذلك فإنّ "الذين هم موجودون في الجسد لا يرضون الله"^{٦٣}، إنّما سقطوا تحت سلطة الموت، وهم خارج سلطة المسيح ايضاً^{٦٤}. والجسد، الذي تسيطر عليه الشهوة، هو ضدّ الروح كما يقول القديس يوحنا^{٦٥}. غير ان هذا الجسد، رغم كونه قوّة وجوديّة، ليس بإمكانه أن يسيطر على الروح، خصوصاً على الذين هم في المسيح والذين يهتدون بوحى الروح القدس^{٦٦}. لذلك فإنه بقرار شخصي يرفض الانسان أو يقبل الله، أو بالأحرى يستسلم للخطيئة أو لا.

هذا بالنسبة الى الجسد. أمّا بالنسبة الى الروح، فهو قوّة تسعى الى الخلاص من خلال تطابقها مع إرادة الله. إنها ترفض متطلبات الجسد وتسعى الى الكمال لتكون في النور وليس في الظلام كما يقول القديس يوحنا^{٦٧}. والصراع بين الروحي والمادي هو صراع بين النفس والجسد المتعلّق

٦١. الى الرومانيين، ٨:٣؛ ٦:٦؛ ٧:٢٤.

٦٢. الى الرومانيين، ٧:١٤؛ ٧:١٧ - ٢٠.

٦٣. الى الرومانيين، ٨:٨.

٦٤. الى الافسيين، ٢:١١ ...

٦٥. يوحنا، ٦:٦٣؛ ٨:١٥.

٦٦. الى الرومانيين، ٨:١٢ - ١٤.

٦٧. يوحنا، ١:٤؛ ٣:١٩ - ٢١؛ ١٢:٣٥.

بالارض^{٦٨}، أو صراع بين الانسان الباطني والانسان الخارجي، ولا شكلاً، بل وجوداً طبيعياً ووجوداً روحياً^{٦٩}. وفي إطار تاريخ الخلاص، فالانسان القديم هو الانسان المتعلق بالخطيئة، والانسان الجديد هو الانسان المعمد الذي يعيش المسيح متجرداً عن كل ما في العالم^{٧٠}. والقديس بولس يميز بين الانسان الاول الذي هو أرضي من الارض (آدم)، والانسان الثاني (المسيح) وهو من السماء، روعي^{٧١}. كذلك عند القديس يوحنا فان الانسان الموجود في العالم هو موجود مع المسيح، ولكنه ليس من العالم، إنما هو من الله لأنه ولد من الروح^{٧٢}. فالقطيعة هنا هي جوهرية لأن الوجود لا يحقق كماله الحقيقي إلا إذا تخطاها (تخطى القطيعة)، ولا تتحقق هي فعلاً إلا بقدر ما يتحد الانسان بالفادي الالهي. وابن الانسان أصبح، من خلال ذلك، بكرراً لأخوة كثيرين بواسطة تقدمه جسده الذي أخذه في التجسد ليجعل فيه جسد المجد^{٧٣}. فالمسيحي، على مثال المسيح، وهو المعمد، عليه أيضاً ان يتخطى الصراع القائم بين الجسد

٦٨. رسالة القديس يعقوب، ١٥:٣.

٦٩. الثانية الى القرنين، ١٦:٤ الى الرومانيين، ٢٢:٧.

٧٠. الى اهل كولوسي، ١٠:٣ الى الافسيين، ٢٤:٤.

٧١. الاولى الى القورنثيين، ١٥:٤٦ ...

٧٢. يوحنا، ١٧:٤؛ ١١:١٧، ١٤، ١٦؛ ٨:٤٤، ٤٧؛ يوحنا الاولى، ٣:٩؛ ٤:٧.

١٨:٤؛ ١:٥.

٧٣. الى الرومانيين، ٨:٢٩؛ الى اهل كولوسي، ١:٢٢؛ الى اهل فيليبي، ٣:٢١.

والروح. وعليه كذلك أن يبرهن عن قطيعته مع الخطيئة بتخطي الأنانية وشهوات العالم، وخصوصاً شهوات الجسد^{٧٤}. كذلك المسيحي عليه أن يتجدد دائماً ليصبح الانسان الجديد والروحاني من خلال دعوته رغم الصعاب اليومية لأنه، في هذه الدنيا، كما في عبور لأن الفصح الحقيقي الذي يسعى إليه هو في الله بالذات^{٧٥}. فمع القديس بولس والقديس يوحنا والعهد الجديد كافة يجب أن يكون وجودنا المسيحي وجوداً خلاصياً وماورائياً: أعني سعيًا دائماً الى تحقيق ما لم يتحقق لغاية الآن. فالانسان عليه دائماً الاختيار بين المسيح والعالم، بين الله والشيطان^{٧٦}. واذا ثابر في الطاعة والرجاء والايمان، وخصوصاً إذا عاش حبّ الله وحبّ اخيه الانسان، ساعته يجد نفسه معداً للملكوت. وهنا يصل الى وجوده الحقيقي كما اراده له الله منذ الازل، وهنا أيضاً يكون على صورة الله ومثاله^{٧٧}.

وختاماً لهذا القسم الاول نقول: إذا كان الانسان في العهد القديم ليس كائنًا معزولاً، فكم بالأحرى في العهد

٧٤. رسالة يعقوب، ١: ٢ — ١٧؛ الى الغلاطيين، ١٦: ٥؛ الى طيطوس، ١٢: ٢؛ يهوذا،

١٨: ١٦.

٧٥. بطرس الاولى، ١١: ٢.

٧٦. متى، ٢٤: ٦.

٧٧. يوحنا الاول، ٨: ٤.

الجديد. فالمسيحي، في وجوده وفي مصيره، ينتمي الى آدم الثاني^{٧٨}. فالمسيح هو رأسه الحقيقي: منه وجوده الروحي الذي يميّز المسيحيين ويجعلهم شعب الله الحقيقي^{٧٩}. والانسان، في المسيح يسوع، ليس أحد أعضاء مؤسّسة خاصّة، بل هو أحد أعضاء جسده السريّ، أي الكنيسة. فيها، من خلال الايمان والاسرار، ينوجد الكائن الحقيقي في جماعة المسيح^{٨٠}. فمحورية المسيح الحقيقيّة، والأخوة الانسانيّة السامية يتلاقيان، وذلك لأنّه في المسيح لم يعد هناك فرق بين سيّد وعبد، وبين جنس وجنس آخر، بل الجميع يعيشون في جسده السريّ الكامل من خلال الافخارستيا والاسرار. والانسان يكمل فيها رسالته التي هي تمجيد الله لينوجد حقاً فيه تعالى، ولكي يبرهن على أنّ الغاية الحقيقيّة من خلقه هي الحبّ السامي الذي يربطه بالخالق. وكماله (كمال هذا الانسان) لا يكون في إطار وجودٍ ماورائي مستقلّ عن الله، بل مع الله بالذات. وبهذا المعنى يقول القديس بولس: "ولكن لم يكن الروحاني أولاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني. فالانسان الاول من الارض أرضيٌّ والانسان الثاني من السماء سماويٌّ. على مثال الارضي يكون الأرضيون وعلى مثال السماوي يكون

٧٨. الاولى الى القرنين، ١٥: ٤٥؛ ٤٧.

٧٩. الى الغلاطيين، ٦: ١٦.

٨٠. الثانية الى القرنين، ٥: ١٤؛ ٧: ٣.

السمائيون. وكما لبسنا صورة الأرضي كذلك سنلبس صورة السماوي" ٨١. إذن نحن مدعوون لنكون على صورة الابن في الجسد وفي المجد ٨٢. وذلك يعني أنه ليس علينا التخلص من الجسد كأنه حبس، بل على هذا الجسد ان يتغير من حالته المادية الى حالة روحانية، نورانية، غير فاسدة، ومجلبب بالمجد والعظمة ٨٣. والموت ليس سوى انفصال عضوي بين النفس والجسد، لكن الجسد نفسه الذي هو أحد العناصر الثلاثة التي تكون الانسان سيتمجد ايضاً مع النفس والروح. وباختصار فان انطروبولوجية العهد الجديد تركز على الايمان بالخلق والايمان المنفتح على العالم وعلى القيامة. والوجود الزمني لا يتحقق كلياً إلا في وجود الله المحب لأن "الله هو الكل في الكل" ٨٤.

٢- المفهوم الفلسفي والآبائي للانسان.

كما في الكتاب المقدس كذلك عند آباء الكنيسة لم تكن دراسة الانسان هي المقصودة مباشرة من الوجهة الانطروبولوجية، بل من خلال دراستهم لسر التجسد وسر

٨١. الاولى الى القرنين، ٤٦:١٥ - ٤٩.

٨٢. الى الرومانيين، ٢٩:٨؛ الثانية الى القورنثيين، ١٨:٣؛ الى اهل فيليبي، ٢١:٣.

٨٣. الاولى الى القورنثيين، ٢:١٥ - ٤٤؛ متى، ١٣:٤٣.

٨٤. الاولى الى القورنثيين، ٢٨:١٥.

الفداء على حدٍّ سواء. فالإنسان نُظر إليه من خلال عمل الخلاص، وُحدّد من خلال مسؤوليّته في مسيرة التدبير الالهي الذي حقّقه السيّد المسيح. لذلك سنتوقّف عند بعض الآباء الذين تطرّقوا لهذا الأمر، وذلك من خلال ردّهم على الفلسفات التي سبقتهم والتي أعطت تحديدات ومفاهيم مغايرة للمفهوم المسيحي الحقيقي.

أوّل هؤلاء الآباء هو القديس ايريناوس الذي علّم، على مثال أفلاطون، أن الإنسان له جسد ونفس وروح. وبهذا المعنى يقول: "أن يكون لنا جسد أُخذ من الأرض، ونفس تسلّمت روحها من الله، فهذا ما يقرّ به كلّ إنسان"^{٨٥}. ونتيجة ذلك فإن الجسد الذي له نفس طبيعيّة ليس جسداً كاملاً. فيجب أن تكون الروح موجودة ليكتمل الإنسان. وهذه الروح هي روح الله، والمسيح وعد بها تلاميذه والمؤمنين كعطية سماوية ليكونوا هياكل الروح القدس. ولكن، في نصوص أخرى، نرى اشكالا عند ايريناوس في اعتباره هذه الروح روح الله أو روح الإنسان نفسه. وهذا ما يؤكّد عليه هذا النصّ الطويل حيث يقول: "الإنسان صنع على صورة الله بواسطة يديه، أعني الابن والروح القدس. فالنفس والروح هما جزء من الإنسان، ولكنهما ليسا الإنسان كاملاً، إذ إن الإنسان الكامل هو

٨٥. ضدّ الهرطقات، ٣، ٢٢، ١.

مركب في اتحاد النفس، التي تنال الروح، مع الجسد الذي صنع على صورة الله... فاذا استبعدنا مادة الجسد، أعني صنيع الله، وتوقفنا عند الروح، فان هذا الانسان ليس روحانياً، بل روح الانسان أو روح الله. ولكن، عندما تتحد هذه الروح بالنفس المتحدة بالجسد، ساعتئذ يصبح الانسان روحانياً كاملاً من مجرد حلول الروح، وهذا هو الانسان الذي خلق على صورة الله ومثاله. أمّا إذا لم تكن الروح في النفس، فان الكائن البشري هو، في هذه الحال، كائن حيواني، متزوك لحالته الحيوانية، غير كامل، على صورة الله، ولكن ليس على مثاله بالروح. وكما ان هذا الكائن هو غير كامل، كذلك ايضاً، إذا وضعنا جانباً الصورة بوضعنا الجسد المصنوع، فانه ليس بإمكاننا ان نعتبر هذا الكائن انساناً، بل كجزء من انسان، أو كشيء آخر لا يشابه الانسان، إذ إن الجسد الذي صنع ليس الانسان الكامل، بل جسد انسان، أو جزء من انسان. كذلك النفس ذاتها، فهي ليست الانسان الكامل وحدها، بل نفس الانسان أو جزء من الانسان. ايضاً الروح فهي ليست الانسان، بل نسميها الروح، وليس انساناً. ولكن اتحاد هذه العناصر الثلاثة يؤلف الانسان الكامل"^{٨٦}. ويكمل ايريناوس قائلاً: "فهناك ثلاثة اشياء، كما بينت، تؤلف الانسان الكامل، هي الجسد، والنفس، والروح. واحدة منها، تخلص وتكون، وهي

٨٦. ضد الهرطقات، ٥، ٦، ١.

الروح، والاخرى، متّحدة ومكوّنة، وهي الجسد، وأخيراً، واحدة بين الاثنين، وهي النفس، التي إذا تبعَت الروح تسمو معها، وإذا تبعَت وتعاطفت مع الجسد تسقط في الشهوات الجسديّة. وكلّ الذين ليست لهم الروح التي تخلّص وتكوّن، ولا الوحدة الكاملة، هم بالضرورة جسد ودم، لأن ليست لهم روح الله، ولا تسكن فيهم^{٨٧}. وأمّا الحصول على هذه الروح التي تطهّر الانسان وتقدّسه، فذلك يعود الى ارادة الانسان ومسلكيّته الفاضلة. كما ان خلود النفس يتوقف على المسلكيّة الأرضيّة، لأن النفس ذاتها ليست خالدة بطبيعتها. فالخلود يتوقّف، في نظر ايريناوس، على المسلكيّة الخلقية في هذه الدنيا. والنفس يصبح بإمكانها ان تخلد إذا أرضت الله في هذه الدنيا ايضاً. وبهذا المعنى يقول: "كما ان السماء فوق رأسنا، والفلك، والشمس، والقمر، والنجوم بلمعانها، لم تكن موجودة مثلاً، بل أوجدها الله وستبقى زمناً طويلاً حسب ارادة الله، كذلك النفوس والأرواح، وكل خليفة، فانها ستدوم وستبقى طالما الله يريد ذلك... فالحياة لا تأتي منّا، ولا من طبيعتنا، بل الله هو الذي وهبها لنا. وهكذا، فان الذي يحافظ على عطية (موهبة) الحياة، شاكرّاً الذي أعطاها، ينال عمراً طويلاً يمتدّ الى جيل الاجيال. أمّا الذي يرفض هذه العطية، ناكراً جميلاً

٨٧. ضدّ الهرطقات، ٥، ٩، ١.

الله الذي صنعه، لأنه خليفة لا تعرف خالقها، فانه يحرم نفسه من الخلود الى الأبد"^{٨٨}.

القديس كليمنطوس الاسكندري واجهته مشكلة العلاقة بين الطبيعة البشرية والنعمة، بعد الخطيئة الأصلية، ومشكلة تحديد هذه الطبيعة، نفساً وجسداً، خصوصاً وان فئات عديدة من الغنوصية كانت تشك بصلاح هذه الطبيعة وتعتبرها فاسدة، حتى بعد افتدائها وخلصها من قبل المسيح، فركز مذهبه الانطروبولوجي والاخلاقي والصوفي على التأكيد على صلاح هذه الطبيعة في اساس تكوينها لأن الله قد خلقها بارادته القدوسة، معلناً في ذلك ان جميع البشر هم أخوة في الخلق^{٨٩}. فالإنسان له كرامته السامية، غير ان هذه الكرامة لا تبقى قائمة فعلاً إلا اذا عاش شبيهاً بالله، أعني على صورته ومثاله^{٩٠}، ممسوحاً بالنعمة الالهية التي يجب ان تلازم وجوده لأن الروح القدس يسكن من يطيعون الله ويرفع من كرامتهم الانسانية والسمائية^{٩١}. وبذلك تكون نفسنا هيكل الروح القدس لأنها صالحة، ولأن صلاحها يجعلها على صورة الله الصالح. وبقدر ما تحافظ

٨٨. ضد الهرطقة، ٢، ٣٤، ٣.

٨٩. السزوماتيس، ٣: ٤٤؛ ٢٦: ٧؛ ١٣.

٩٠. السزوماتيس، ٦: ٤.

٩١. السزوماتيس، ٦: ١٧.

على وصاياه، بقدر ذلك تسمح هذه النفس للكلمة الالهي بان يسكنها، هيكلًا مقدسًا، لجد الآب، الذي يجعلها تعيش في تأمل دائم له^{٩٢}. أمّا تحديدها، فيقول فيه كليمنضوس: إنها خلقت بفعل خاص من الله، ولم تكن عرضة للسقوط، كما ادّعى افلاطون، أو مرسلة الى عالم غريب هو العالم الأرضي. إنّ الله خلقها في الطبيعة البشرية لتحبيها، وما هذا العالم سوى المنفى بالنسبة إليها لأنها تعرف، معرفةً حقيقيةً، ان سعادتها في الحياة الابدية، بالقرب من الله.

أوريجانوس الاسكندري انطلق في كلامه على الانسان من قناعته بأن وجود النفس السابق يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنظرية انبعاث الكون. ففي رأيه إن هذا العالم المنظور قد سبقه عالم آخر، والأنفس البشرية التي سبق وجودها هي أرواح سقطت من الشراكة الالهية أثناء وجودها في عالم سابق. لذلك تجد هذه النفوس ذاتها اليوم مسجونة داخل أجسادٍ مادية. فالخطايا التي ارتكبتها في العالم السابق تفسّر التنوع في مدى النعمة الممنوحة لكل فردٍ على هذه الارض، والفارق الكبير بين البشر.

٩٢. السزوماتيس، ٣: ٨٠؛ ٣: ٧.

غير أن مفهومه للكمال جعله يركّز على كرامة الانسان المخلوق على صورة الله ومثاله، وبالتالي جعله يحدّد أطر المفهوم الانطروبولوجي الذي يتحرّك من خلاله، فيقول: "عندما نقول "صنعه على صورة الله!"، دون ذكر التشابه، يعني بذلك ان الانسان نال كرامة الصورة عند عمليّة الخلق الاولى، غير ان كمال الصورة استبقي حتى انقضاء الاشياء إذ يتوجّب على الانسان ان يستحقّ هذا التشابه في الصورة بعمله الشخصي ومحاولة اقتدائه بالله. فاستطاعة البلوغ الى الكمال قد مُنحت له منذ البدء بما تحمل الصورة من كرامة. ويبقى على الانسان ان يتمّ التشابه من خلال إنجازه الاعمال انجازاً تاماً في نهاية العالم" ٩٣.

ترتوليانوس القرطاجي، في كتابه "قيامه الجسد"، يعتبر الانسان مركّباً من نفس وجسد، متّحدين اتّحاداً كاملاً. فالنفس هي من طبيعة جسديّة، ولكن طبيعة جسديّة خاصّة بها، مميّزة عن سائر الاجساد، إنّما لها جميع صفات الاجساد. ولها، كهذه الاجساد، قانونها وحالتها، كما لها ايضاً حدّها ونهايتها، وأبعادها الثلاثة، وشكلها المميّز، ولونها الشاحب الهوائي. وهي وحدها تعطينا البرهان الكامل على وجود الله قبل كلّ برهان عقلي آخر. وبهذا المعنى يقول في الفصل السابع عشر من كتابه "الدفاعي": "هل تريدون أن نثبت

٩٣. المبادئ الاولى، ٢، ٦، ١.

وجود الله من خلال أعماله الكثيرة والرائعة، تلك الاعمال التي تحفظنا وتسندنا وتفرّحنا، وحتى التي تخيفنا؟ إن شهادة النفس البشرية، وإن كانت في سجن ضيق داخل الجسد، تخدعها تربية سيئة، أو في ثورة عصبية من جرّاء الأهواء الشهوانية، أو مستعبدة للآلهة المزيفة، فهي تسمّي الله باسمه لأنّه اسم الاله الحقيقي، خصوصاً عندما تعود الى ذاتها وكأنّها تستيقظ من نوم عميق أو من مرض، وقد أصبحت في حالتها الطبيعية. "الله كبير"، "الله طيب"، وإن شاء الله"، تلك هي الصرخة الكونية. والنفس البشرية تعترف به ايضاً قاضياً: "الله يرى"، و"أعتمد على الله"، و"الله سيكافئني". يا لشهادة النفس المسيحية^{٩٤}. فهذه النفس تجعلنا نكتشف الله بكلّ بساطة لأنها لا تعرف إلّا ما تحسّ به طبيعياً، وهذا الاحساس نابع من كونها تسكن في الله والله يسكن فيها.

القديس هيبوليتوس الروماني، متأثراً بالقديس ايريناوس، يعتبر ان السيد المسيح أخذ جسد آدم ليجدّد البشرية. فالجسد الذي أخذه من العذراء مريم هو جسد مقدّس، وبأخذه إيّاه أعاد الخلود لجسد آدم الذي سقط في الخطيئة. فالانسان لم يخلق للموت، بل للحياة. والنفس

٩٤. الدفاعي، ٤: ١٧ - ٦.

والجسد اللذين يكونان الانسان قد خلصهما المسيح بتجسده
وأعادهما الى الشراكة المقدسة مع الله.

القديس أثناسيوس الاسكندري في كتابه عن "تجسد
الكلمة الالهي" الذي وجهه ضد الوثنيين يؤكد أن الانسان
بامكانه معرفة الله لأن النفس البشرية هي خالدة مثله تعالى.
فكما اللوغس بامكان النفس معرفة الله كما في مرآة،
وذلك من خلال الخلق. والانسان المركب من نفس وجسد
يسمو بنفسه لأن هذه النفس هي أساس وجوده، وما
الجسد، في هذه الدنيا، سوى الوسيلة التعبيرية المحسوسة.
فوحدة الانسان متكاملة، والمسيح وحده بفدائه نفساً
وجسداً، وقد أعطاه الملك السماوي لأنه خلّده من خلال
نفسه.

هؤلاء الآباء الذين ذكرناهم في عرضهم
الانطروبولوجي كانوا السّباقيين في تحديد الانسان لأن
الصراع كان واضحاً في بداية المسيحية حول طبيعة الانسان.
أمّا الآباء الذين أتوا بعدهم من غريغوريوس النزينزي، الى
غريغوريوس النيصي، الى باسيليوس، الى يوحنا فم الذهب،
الى كيريلوس الاسكندري، الى اغوستينوس، الى توما
الأكويني، والى غيرهم من الآباء المشرقين والغربيين لم يكن
هاجس تحديد الانسان بالنسبة إليهم إلا هاجس خلاصه

وفدائه. فمن خلال الفداء تكلموا على الانسان، ومن خلال علاقته الخلاصية التي كانت دائماً في خطّ تحديد الكنيسة العام الذي سنراه، تفصيلاً، في الفصول اللاحقة في المجمع الفاتيكاني الثاني. فالمشكلة انحسرت بعد المجمع النيقاوي، والخطّ الانطروبولوجي الكنسي بقي هو إياه لغاية اليوم. ورغم بعض الفوارق القليلة، فان معطيات الانطروبولوجيا المسيحية قد ثبتت بالتحديدات اللاهوتية على مرّ العصور، ولم يكن جديدها جديداً بالفعل إلا في الطرح الجديد الذي طرحه المجمع الفاتيكاني الثاني، موضوع دراستنا في هذا الكتاب.

الفصل الأوّل

هويّة الانسان وكرامته

لقد طرحت مشكلة هويّة الانسان وكرامته في المجمع الفاتيكاني الثاني انطلاقاً من البحث عن مكانة هذا الانسان في الكون الذي يشهد تطوراً هائلاً على صعيد الاكتشافات المذهلة التي تمخّضت بها البشريّة منذ بداية هذا القرن، ولا سيّما في النصف الثاني منه، بحيث أن المصير الفردي والمصير الانساني عامّة أصبحتا مدعاة للقلق أمام التساؤلات الكبيرة التي نتجت عن اجتياح العلوم الوضعيّة لقطاعات عديدة والتي أثّرت وتوتّرت على المفهوم الانجيلي للتدبير الالهي الذي ميّز الانسان عن سائر مخلوقاته في هذا الكون. ففي الدستور الراعوي في الكنيسة وعالم اليوم نقرأ ما يلي: "لقد اعتزى اليوم الجنس البشري الدهول أمام اكتشافاته الخاصّة وسلطانه الذاتي. ومع ذلك فانه غالباً ما يتساءل، قلقاً على تطوّر العالم الحاضر، عن مكان الانسان ودوره في هذا الكون، وعن معنى جهوده الفرديّة والجماعيّة، وفي النهاية يتساءل ايضاً عن المصير الأخير الذي ينتظر هذه الأشياء وهذه الانسانيّة"^١.

١. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٣.

غير أنّ هذا القلق لم يحبط عزيمّة آباء الجمع، فعادوا وحدّدوا هويّة هذا الانسان، المخلوق على صورة الله ومثاله، هذه الصورة التي تميّز هويّته الحقيقيّة والتي اعطته وحدة السلطة على الكون ليخضعه لله ولیمجّده فيه. ففي العدد ٣٤ من الدستور نفسه أعلنوا ما يلي: "فالإنسان المخلوق على صورة الله أوكلت رسالة إخضاع الأرض وما فيها، ليتسلّط على الكون بالبرّ والقداسة، وإذ يعترف بان الله خالق كلّ شيء يسند إليه ذاته ويسند إليه الكون حتى إذا ما اخضع كلّ شيء للإنسان تمجّد اسم الله في كلّ الارض"^٢. فهذا التمجيد لا يكون إلّا من خلال الالتزام بهويّة شعب الله الجديد الذي يجب أن يمتدّ في العالم والى آخر الدهر، وان يحقّق ارادة الله في مسيرته الخلاصيّة. فان يكون على صورة الله ومثاله هذا هو ما يميّز الانسان عن سائر الكائنات الاخرى، وهذه هي هويّته التي نالها من تجسّد المسيح. وفي هذه الصورة وهذا التماثل يتحقّق وجوده الفعلي وتكون له الكرامة التي حفظها له الله في الخلق. وبهذا المعنى يقول الآباء في الدستور العقائدي في الكنيسة: "إنّ كلّ الناس مدعوّون ليكونوا شعب الله الجديد. ولذلك على هذا الشعب أن يمتدّ الى العالم بكامله والى آخر الدهر، مع بقائه واحداً ووحيداً ليكمّل ما دبّرتّه ارادة الله التي

٢. المرجع نفسه، ٣٤.

خلقت الطبيعة الانسانية واحدة منذ البدء وقدرت ان تجمع
 أخيراً الى واحد أبناء ذلك الشعب المشتتين^٣. من هنا فان
 المسؤولية تقع على عاتق المسيحيين المعمدين في العمل
 المستمر ليتحقق التدبير الالهي للخلاص في الزمان والمكان.
 ومن هنا ايضاً تتبع كرامة الانسان الأولى بانه مميّز بالتزامه
 بشريعة التجسد وبالعمل لتحقيق هذا التجسد في ذاته أولاً
 وفي المجتمع ثانياً، وذلك برفع مستوى العمل الى التقديس
 والى احلال السلام في كلّ مجتمعات العالم. ولقد شدّد
 الآباء على ذلك قائلين: "على كلّ العلمانيين يقع العبء
 الشريف في العمل المستمر على ان يصل التدبير الالهي
 للخلاص الى كلّ الناس في كلّ زمانٍ ومكان يوماً بعد يوم"^٤.

أما عن كرامة الانسان فلقد شدّد الآباء على الوعي
 البشري المتصاعد لحرية الشخص من خلال الاحترام العميق
 لطبيعته الانسانية المميّزة. ففي البيان عن الحرية الدينية جاء
 ما يلي: "إنّ وعي الناس في عصرنا لكرامة الشخص البشري
 يتزايد يوماً بعد يوم. كما انه يتزايد عدد أولئك الذين
 يطالبون بالحاح حتى يتمكن الناس من أن يتصرفوا وفقاً
 لأرائهم الخاصة متحمّلين مسؤوليتهم ومتمتعين بكامل

٣. المرجع نفسه، ١٣.

٤. المرجع نفسه، ٣٣.

حرّيتهم، لا يوجّههم ضغط بل شعورهم بالواجب"٥. فهذه الحرية، الدينية بنوع خاص، هي على أساس احترام كرامة الانسان. بدون الحرية لا كرامة له، وبدون الحرية لا معنى لحياته. والعدالة الحقيقية هي عدالة الكرامة التي تكفلها المحبة الشاملة والكاملة. وبهذا المعنى يقول آباء المجمع في القرار الجمعي في رسالة العلمانيين: "علينا أن نحترم بانسانية لا مزيد عليها حرية الشخص الذي نساعد وكرامته والاّ نلطّخ طهارة النية بأيّ سعي وراء النفع الذاتي أو الرغبة في التسلّط؛ علينا أن نخضع قبل كلّ شيء لمقتضيات العدالة فلا نقدّم كعطيّة محبة ما يطلبه العدل، وان نزيل اسباب الشرّ لا نتأججه فقط؛ وعلينا ان ننظّم المساعدات على وجه يستطيع من ينتفع منها التحرّر رويداً رويداً من حاجته الى ما يأتيه من الخارج ويكفي نفسه بنفسه"٦.

إنّ الحرية الدينية، إذن، هي على أساس كرامة الانسان. فلا إرغام على التصرف ضدّ الضمير في الشؤون الدينية، ولا صيانة للأفراد إلّا بالالتزام بالوحي الالهي الذي يقرّبه العقل البشري، والذي أبانه في الكتب المقدسة. من هنا إعلان المجمع في بيان الحرية الدينية: "يعلن المجمع الفاتيكاني هذا أن الحرية الدينية هي حقٌّ من حقوق الشخص

٥. بيان في الحرية الدينية، ١.

٦. قرار جمعي في رسالة العلمانيين، ٨.

البشري. وتقوم هذه الحرية بأنه يجب أن يسان الناس أجمعون من كلّ ضغطٍ سواء كان من قبل الأفراد أم من قبل فئات إجتماعية أو من قبل أي سلطة بشرية فلا يرغم إنسان على أن يتصرّف ضدّ ضميره في الشؤون الدينية ولا يمنع من أن يعمل حسب ضميره ضمن الحدود المعقولة سرّاً أو علانية، منفرداً أو مشتركاً مع آخرين. كما أنّه يعلن أن الحقّ في الحرية الدينية مبني فعلاً على كرامة الشخص البشري نفسه حسبما أبانها كلام الله الموصى به وحسبما أبانها العقل نفسه^٧. فالحرية الدينية يقرّ بها الوحي والعقل على حد سواء، وهي حقّ من حقوق الانسان، وهي أساس استمرار وجوده في هذا الكون، وأساس تطوّره المتفاعل مع روح الرسالة التي اراده الله أن يقوم بها في هذا العالم. وليس هناك من تفاعل إلاّ من خلال الرؤيا الخلاصية التي حقّقها التدبير الالهي في تجسّد المسيح الذي كرّس هويّة الانسان الالهية وكرامته البشرية. لذلك يزيد المجمع قائلًا: "فجميع الناس، بمقتضى كرامتهم وبما أنهم أشخاص أي متزنون بالعقل والارادة الحرّة، وبالتالي بالمسؤوليّة الشخصية، مدفوعون بطبيعتهم ذاتها الى البحث عن الحقيقة وملزمون به أدبياً، تلك الحقيقة التي تتناول الديانة أولاً. فعليهم أن يعتنقوها حالما يعرفونها وينظموا حياتهم كلّها وفقاً لمقتضياتها. ولا يتمكن الناس من تميم هذا الالتزام بطريقة

٧. بيان في الحرية الدينية، ٢.

تتناسب مع طبيعتهم الذاتية إن لم يتمتعوا بالحصانة ضدّ أي ضغط خارجي، علاوة على الحركة السيكلوجيّة. فالحقّ في الحرّية الدينيّة مبني على طبيعة الانسان نفسها لا على استعدادات الشخص الذاتية^٨. فطبيعة الانسان، كما خلقها الله، هي مصدر هذه الكرامة، والمسيح نفسه قد احترمها واحترم حرّيتها. والحرّية التي يقتضيها فعل الايمان المسيحي، هي حرّية الدين الكاملة، خارجاً عن كلّ ضغط بشري، وبعيداً عن كلّ تأثيرات سلبية في المسيرة الخلاصيّة. والمجمع إذ يؤكّد على ذلك يعلن ما يلي: "بالرغم من ان الوحي لا يؤكّد بصريح العبارة الحق في الحصانة ضدّ أي ضغط خارجي في الأمور الدينيّة، فانه يكشف مع ذلك عن كرامة الشخص البشري بكلّ أبعادها، ويبيّن كيف أن المسيح احترم حرّية الانسان الذي يتمّ واجبه نحو الايمان بكلام الله، كما أنه يعلمنا باي روح يجب أن يتثقف تلاميذ هذا المعلم مسترشدين به في كلّ أعمالهم. وان كلّ ما تقدّم يوضح المبادئ العامة التي يركز عليها تعليم هذا البيان في الحرّية الدينيّة. وقبل كلّ شيء إن الحرّية الدينيّة في المجمع تتناسب تماماً والحرّية التي يقتضيها فعل الايمان المسيحي"^٩. فالله، إذن، الذي يدعو البشر لأن يخدموه بالروح والحق، يحترم حرّيتهم وكرامتهم الشخصية، تاركاً لهم حرّية الممارسة ايضاً

٨. المرجع نفسه، ٢.

٩. المرجع نفسه، ٩.

في جميع اعمالهم البشريّة: "أجل إن الله يدعو الناس الى ان يخدموه بالروح والحق، ولذلك يصبحون ملتزمين ضميرياً بخدمته ولكن غير مرغمين. لأن الله يأخذ بعين الاعتبار كرامة الشخص البشري الذي خلقه بذاته والذي يجب أن يتصرّف وفقاً لحكمه الشخصي بممارسة حرّيته" ١٠.

كذلك فان الكنيسة، التي مرّت بظروف قاسية طوال تاريخها وعرضت هذه الكرامة الانسانية الى تقلّبات عديدة، عادت واعترفت في المجمع، اعترافاً واسعاً، بكرامة الشخص البشري، ورسّخت الاعتقاد بان هذا الشخص يجب أن يكون بمأمن ضدّ كل ممارسة ضاغطة في الأمور الدينيّة، وذلك انطلاقاً من مبدأ التحرّر الديني من اجل التحرّر الانساني. وبهذا المعنى يقول الآباء: "لقد ظلّت الكنيسة محافظة دائماً على تعليمها بأن الايمان لا يأتي عن طريق الاكراه بالرغم من أنه حدثت أحياناً في تاريخ شعب الله السائر وسط تقلّبات تاريخ البشر، حدثت تصرّفات لم تكن مطابقة لروح الانجيل وحسب بل ايضاً منافية له. وهكذا لقد عملت خميرة الانجيل عملها بصورة مستمرة في أذهان الناس وساهمت كثيراً في ان يعترف البشر، عبر العصور، اعترافاً أوسع بكرامة الشخص البشري، كما أنها ساهمت ايضاً في ترسيخ

١٠. المرجع نفسه، ١١.

الاعتقاد بان هذا الشخص يجب ان يكون، في بلده، بمأمن ضد ممارسة أي ضغط بشري في الأمور الدينية^{١١}.

واما عن الدور الاجتماعي الذي يجب ان يقوم به المسيحيون ليثبتوا هذه الكرامة بين البشر فينطلق فعلاً من جميع المؤسسات التعليمية والاقتصادية والاجتماعية، لا سيما وان التنشئة المسيحية الحقيقية هي الركن الاساسي في بناء هذه الكرامة. ففي القرار الجمعي في نشاط الكنيسة الارشادي يعلن الجمع ما يلي: "على المسيحيين أن يعملوا ويساهموا مع كل الآخرين في القضايا الاقتصادية والاجتماعية كي ينظموها تنظيماً صحيحاً. عليهم أن يضموا، باهتمام خاص، في سبيل تربية الاحداث والمراهقين بواسطة المدارس على اختلاف أنواعها، التي يجب أن تُعتبر لا كوسيلة سامية لتنشئة شبيهة مسيحية وتنميتها وحسب بل بالوقت نفسه كخدمة للبشر لها قيمة بالغة لا سيما نحو البلدان الناشئة، خدمة ترفع الكرامة البشرية وتعدّ أوضاعاً أكثر إنسانية... إن تلاميذ المسيح المتحدّين بحياتهم وعملهم اتحاداً وثيقاً بالبشر يتمنون أن يقدّموا لهم شهادة المسيح الحقّة ويعملوا من أجل خلاصهم حتى حيث لا يتمكّنون من التبشير تماماً بالمسيح. فهم لا يفتشون عن تقدّم الناس وازدهارهم المادي الصرف، بل يعملون على رفع كرامتهم وفي سبيل اتحادهم الأخوي

١١. المرجع نفسه، ١٢.

وذلك بتعليم الحقائق الدينية والاخلاقية التي أثارها المسيح بنوره"١٢. فكل ما يقوم به المسيحيون يجب ان يكون موجّهاً لتثبيت هذه الكرامة، وللمحافظة على الانسان، انطلاقاً من تنشئة مميّزة، واحتراماً للقيم الانسانية، كما للخيرات الزمنية التي وضعها الله بين يدي الانسان. والنظام الزمني، بكل أبعاده، هو نظام يساعد الانسان في سيره الى غايته، هذا اذا وُجّه التوجيه الصحيح كما يقول المجمع في القرار الجمعي في رسالة العلمانيين: "كلّ ما يتركّب منه النظام الزمني أعني خيرات الحياة والعائلة، الثقافة، الاقتصاد، الحرف والمهن، مؤسّسات الجماعة السياسية، العلاقات الدولية وغيرها مما يشبهها، وتطوّرها وتقدّمها، كل هذا لا يساعد الانسان في سيره الى غايته فحسب، إنّما له قيمته الخاصة التي أودعه الله إيّاها،... وان جودة هذه الأمور الطبيعية تنال كرامة خاصة لصلتها بالشخص البشري الذي خلقت لخدمته"١٣.

فالانسان، وبنوع خاص المسيحي، يعتبر أن أسمى مظاهر الكرامة الانسانية يكمن في دعوته للاتحاد بالله من خلال النظام الزمني الذي وُضع فيه. ولقد أصبح البشر أشدّ وعياً لكرامتهم ومسؤوليتهم، متمنّين أن "يشتركوا بفاعلية أكثر، وكلّ يوم، في الحياة الاجتماعية، وخاصة في الحياة الاقتصادية

١٢. قرار جمعي في نشاط الكنيسة الارشادي، ١٢.

١٣. قرار جمعي في رسالة العلمانيين، ٧.

والسياسية^{١٤}. وهكذا "يكتشف الانسان في اعماق ضميره وجود شريعة لم يسنّها لنفسه ولكن عليه أن يخضع لها. إن هذا الصوت الذي لا ينفكّ يخرجه ليعمل الخير ويحبّه، ويتجنّب الشرّ، يدوّي في الوقت المناسب في صميم قلبه: "اصنع هذا وتجنّب ذلك" لأن هذه هي شريعة وضعها الله في قلب الانسان، وان كرامته تقوم بالخضوع لها لأنها هي التي ستحكم عليه"^{١٥}. والخضوع لشريعة الله الموجودة في قلب الانسان، والتي تصنع كرامته، هي الطريق الى السعادة الكاملة والى التحرّر من العبودية، لا سيّما عبودية الأهواء. والدستور الراعوي في الكنيسة وعالم اليوم يشدّد على هذه النقطة الاساسية إذ يقول: "إنّ الحرية الحقيقية هي في الانسان علامة مميّزة عن صورة الله فيه. لأن الله أراد "ان يتركه لمشورته الخاصة"، حتى يتمكنّ بذاته من ان يبحث عن خالقه ويلتحق به بحرية ويبلغ هكذا الى تمام سعادته الكاملة. وان كرامة الانسان تتطلب منه أن يتصرّف إستناداً الى اختيار حرّ وواع لا يدفعه ولا يحدّد موقفه إلاّ الاقتناع الشخصي دون أن يتأثّر بالدوافع الغريزية أو الضغط الخارجي فقط. ويحصل الانسان على هذه الكرامة عندما يتخلّص من عبودية الأهواء، إذ يختار الخير حراً فيسير نحو مصيره ويسعى حثيثاً

١٤. بيان في التربية المسيحية، مقدّمة.

١٥. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ١٦.

ليؤمن فعلاً الوسائل لتحقيقه إرتكازاً على مهارته^{١٦}.
 فالكنيسة تؤكّد، إذن، ان الاعتراف بالله لا يعاكس بآية
 طريقة من الطرق كرامة الانسان، لأن الله ذاته يبرّر هذه
 الكرامة ويكمّلها. فالله الخالق أقام الانسان في مجتمع وزيّنه
 بالفهم والحرية. أمّا عندما يتلاشى العضد الالهي والرجاء
 بالحياة الابدية تتجرّح كرامة الانسان جرحاً بليغاً كما نراه
 غالباً في ايماننا. كما ان لغز الحياة والموت والخطيئة والألم
 يبقى دون حلّ: وهكذا غالباً ما يهوي البشر في وهدة
 القنوط. كذلك على كلّ جماعة ان تحسب حساباً لحاجات
 الجماعات الاخرى الشرعي ولتوقها، كما أن عليها ايضاً ان
 تحسب حساباً للخير العام الذي يشمل العائلة البشرية
 بكاملها. وهكذا يزداد، في الوقت نفسه، الشعور بكرامة
 الانسان السامية التي تفوق كلّ شيء والتي لا تمسّ حقوقها
 وواجباتها الشاملة. فالخميرة الانجيليّة هي التي عملت وتعمل
 على ان تبعث في قلب الانسان شعوراً بالكرامة لا يُقهر.
 ويلفت المجمع الى ان كلّ ما يسيء الى هذه الكرامة هو عمل
 مشين. وبهذا المعنى يقول في الدستور الراعوي في الكنيسة
 وعالم اليوم: "إن كلّ ما يسيء الى كرامة الانسان كأوضاع
 الحياة المنحطة والسجن دون مبرّر والسبي والاستعباد والبغاء
 والمتاجرة بالنساء والأولاد؛ وأيضاً أوضاع العمل المحقرة،
 التي تحوّل العامل الى مجرد آلة، دون أي اعتبار لشخصه

١٦. المرجع نفسه، ١٧.

وحريته ومسؤوليته: إنّ كلّ هذه التصرفات والعادات التي ذكرنا وما يشبهها هي في الواقع مشينة"١٧.

كذلك يشدّد المجمع على ان الكرامة الانسانية يجب ان تحفظ رغم الفوارق العديدة بين الناس، من اجل الوصول الى اوضاع حياة عادلة واكثر انسانية. فعدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية الجسيمة، بين اعضاء العائلة البشرية الواحدة وشعوبها، يثير الشكّ ويقف في وجه العدالة الاجتماعية والانصاف وكرامة الانسان، وفي وجه السلام الاجتماعي والدولي. لذلك على هذا الانسان ان "يتوصّل الى المسؤولية، وان يلجّي دعوته بتفانيه في خدمة الله وخدمة امثاله"١٨، والانجيل هو الذي يحافظ على كل ذلك. من هنا يقول المجمع: "بما اننا نستطيع اليوم انقاذ اكثرية الناس من آفة الجهل، هناك واجب يليق الى اسمى حدّ بعصرنا وخاصة بالمسيحيين: وهو أن نعمل دون هوادة إن ماديًا وإن سياسيًا، إن على المستوى الوطني وإن على المستوى العالمي، كي تتخذ التقارير الجذرية التي من شأنها ان تقود الى الاعتراف بحق الجميع وفي كلّ مكان، حقّ في الثقافة وان تؤمن تحقيقه،

١٧. المرجع نفسه، ٢٧.

١٨. المرجع نفسه، ٣١.

وذلك وفقاً لكرامة الشخص البشري، دون تمييز في العرق أو الجنس أو الأمة أو الديانة أو الوضع الاجتماعي" ١٩.

وهكذا نستنتج من كلّ ما تقدّم ان هويّة الانسان وكرامته هما نابتان من فعل الخلق بالذات، ومن تجسّد المسيح الفادي الذي أعاد إليه إصالة البنوة الالهية. والانسان، بقدر ما يعي مسؤوليته في مسيرة تاريخ الخلاص، بقدر ذلك تتأصّل هويته وكرامته الانسانية المطعّمة بألوهة المسيح وناسوته. فالجمع وعى هذا الأمر مستدرّكاً ضياع البشر في مسيرة التطوّر العلمي والاكتشافات المتعدّدة التي تسعى لتؤلّه العقل البشري دون العودة الى الله الخالق والمعطي. وما خيرات هذه الأرض سوى وسائل لتكون بخدمة الانسان المسلّط عليها من قبل الله. أمّا الحرّية الدينية فهي على أساس كلّ شيء، منها تنبع الهوية، ومنها تبقى الكرامة الانسانية محفوظة في جميع الحقول التي يعمل فيها الانسان نفسه. والمسيح، الفادي والمخلص، هو الذي يسدّد خطى هذه المسيرة الخلاصية من خلال التأكيد على ان الانسان هو ابن الله، وهو على صورته ومثاله في الحياة وفي الخلود.

١٩. المرجع نفسه، ٦٠.

الفصل الثاني

حقوق الانسان

من المواضيع الاساسية التي توقّف عندها المجمع الفاتيكاني الثاني موضوع حقوق الانسان المشروعة التي أقرتها الشريعة الالهية والتي تنبع من إصالته الانسانية ومن كرامة وجوده. فلقد لفت آباء المجمع الى التفكك القائم في مجتمعات اليوم، وسيطرة الأقوى على الضعيف، وعزل فئات مستضعفة وفقيرة في دول عديدة لصالح فئات اخرى بيدها الحكم، والحروب القائمة على أسس دينية وعقائدية، فنبهوا بشدة الى ان انسان اليوم يعيش حياة تمزق هائلة، والى أنه من الضروري الحفاظ على حقوق البشر انطلاقاً من تحديد كرامة الانسان واحترامها، معلنين في الدستور الراجوي في الكنيسة وعالم اليوم ما يلي: "بالرغم من ان الحروب الأخيرة جلبت لعالمنا ويلات هائلة في الحقلين المادي والأخلاقي، فان الحرب لا تزال تجتاح كلّ يوم بعض مناطق هذه الأرض. أضف الى ذلك ان وحشيتها تهدّد بدفع المتقاتلين الى قساوة شرّ من قساوة الماضي بما أنه يتم استعمال أسلحة علمية مختلفة الانواع للقيام بها. وعلاوة عليه ان تعقّد الوضع الراهن وتشابك العلاقات الدولية يسمحان بان

تطول الحروب الباردة بواسطة الأساليب الحديثة الخدّاعة والهدّامة. فالجمع يتوحّى، قبل كلّ شيء، عندما يتأمّل في حالة البشرية هذه التي يرثى لها، ان يعيد الى الازهان قوّة حقوق الانسان الطبيعيّة ومبادئها الشاملة الثابتة. وان ضمير الجنس البشري ليعلن هذه المبادئ بصورة أكيدة وبصلابة متزايدة. فالأعمال التي تناقض هذه الحقوق والمبادئ مناقضة صريحة هي أعمال إجرامية وكذا القول عن الأوامر التي تفرضها. وما الطاعة العمياء بكافية لتبرّر أولئك الذين يستسلمون لهذه الأوامر. ومن تلك الأعمال يجب أن نعدّ، في بادئ الأمر، تلك التي تبعد شعباً بأجمعه أو أمة أو أقلية عنصريّة لأيّ سبب أو بآية وسيلة كانت. فهذه الأعمال يجب أن تكون محرّمة بأقصى حدود القوّة لأنّها أعمال إجرامية رهيبة. وهل نفي بمدح شجاعة أولئك الذين لا يخافون أبداً من أن يقاوموا علناً مَنْ يأمرُوا بفواحش من هذا النوع؟^١. فالكنيسة تأسف للتمييز في المعاملة بين مؤمنين وغير مؤمنين الذي تقوم به بعض السلطات المدنيّة بطريقة ظالمة محتقرة حقوق الانسان الأساسيّة^٢، "وان كلّ نوع من التمييز الذي يتناول هذه الحقوق، اجتماعيّة كانت أم ثقافيّة، سواء ارتكز على الجنس واللون والعرق وعلى الوضع الاجتماعي أو اللغة، أو الدين، يجب ان يلغى لأنه منافٍ لتصميم الله.

١. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٧٩..

٢. المرجع نفسه، ٢١.

والحق يقال انه لمن المحزن ان نتأكد أن هذه الحقوق الأساسية، حقوق الانسان، لم تحترم بعد في كل مكان^٣. لذلك يدعو المجمع جميع المؤسسات الخاصة والعامة لتكون في خدمة كرامة الانسان ومصيره، وان تقاوم هذه المؤسسات، بقوة وفعالية، كل نوع من الاستعباد الاجتماعي أو السياسي، ولتحافظ على حقوق الانسان الأساسية في ظل كل نظام سياسي^٤. كما ان الكنيسة "تنادي بحقوق البشر بمقتضى الانجيل الذي تسلمته وتقرّ وتقدر تمام التقدير حيوية عصرنا الذي يعطي اينما كان وثبة جديدة لهذه الحقوق"^٥. وإن ما تصبو إليه هذه الكنيسة فوق كل شيء هو ان تتمكن من الانتشار بحرية لخير الجميع في ظل كل نظام يعترف بحقوق الشخص الأساسية، وبحقوق العائلة، ويعترف أيضاً بمقتضيات الخير العام^٦. وهكذا تكون العائلة أَسَّ المجتمع لأنها المكان الذي تجتمع فيه عدة أجيال يتعاونون ليكسبوا حكمة أوسع فتناغم حقوق الأشخاص مع سائر متطلبات الحياة الاجتماعية^٧. كما يجب التنديد بالاضاليل الناتجة عن العقائد التي تناهض الاصلاحات الضرورية باسم حرية ساء

٣. المرجع نفسه، ٢٩.

٤. المرجع نفسه، ٢٩.

٥. المرجع نفسه، ٤١.

٦. المرجع نفسه، ٤٢.

٧. المرجع نفسه، ٥٢.

فهمها وتلك التي تنتج ايضاً عن تعاليم تصحّي بحقوق الأفراد والجماعات الأساسية في سبيل تنظيم الانتاج تنظيمًا جماعياً^٨. من هنا يجب التأكيد على حقوق الشخص الأساسية كحق العمال في تأسيس الجمعيات التي يشاؤون والتي تقدر ان تمثلهم بطريقة شرعية. والتأكيد ايضاً على حقهم في المساهمة في تنظيم الحياة الاقتصادية التنظيم الصحيح، كما لهم الحق في ان يشتركوا بملء الحرية في نشاط هذه الجمعيات دون ان يتعرضوا للانتقام^٩. فالشعور إذن بكرامة الانسان أصبح أكثر إرهافاً، ولذلك هناك محاولة في مناطق مختلفة لارساء نظام سياسي قانوني يحافظ محافظة أوفر على حقوق الشخص ضمن الحياة العامة: يحافظ مثلاً على حقوقه في حرية التجمع والشراكة، وعلى حقه في التعبير عن آرائه الشخصية وممارسة دينه سرّاً وعلانية. فضمن حقوق الشخص هو شرط لا بُدّ منه ليستطيع المواطنون، فرداً أو جماعة، الاشتراك الفعلي في ارادة الشؤون العامة وتنميتها^{١٠}. وفي الوقت عينه نشأ تعاون ولا يزال يتسع ليتأمن لجميع المواطنين، لا الى بعض المحظوظين فقط، التمتع الفعلي بالحقوق المرتبطة بالشخص^{١١}، ولكن إذا تجاوزت السلطة العامة صلاحيتها

٨. المرجع نفسه، ٦٥.

٩. المرجع نفسه، ٦٨.

١٠. المرجع نفسه، ٧٣.

١١. المرجع نفسه، ٧٣.

وظلمت المواطنين فليس لهؤلاء ان يرفضوا ما تقتضيه المصلحة العامة بطريقة موضوعية، ولكن يجب ان يسمح لهم بالدفاع عن حقوقهم وحقوق مواطنيهم ضدّ جور السلطان شرط ان يحترموا الحدود التي رسمتها الشريعة الطبيعيّة والشريعة الانجيليّة^{١٢}. وإنه لمن الضروري، يقول المجمع، ان يكون هناك قانون وضعي ينظّم توزيع وظائف السلطة وأجهزتها كما يجب، ويحمي الحقوق حماية فعّالة لا ترتبط بأيّ شخص كان، وذلك لكي يؤدّي تعاون المواطنين الواعين الى نتائج حميدة في الحياة السياسية اليومية. كما انه يجب احترام حقوق كل الافراد والعائلات والفئات وتقديرها والاعتراف بها والسماح بممارستها، وكذا القول عن الواجبات المدنية التي يخضع لها كلّ المواطنين^{١٣}. ولكن إذا قيّدت ممارسة الحقوق مدّة من اجل الخير العام، فلتطلق الحرية في أقرب ما يمكن عند تبدّل الظروف. وعلى كلّ حال إنه لجور ان تنهج الحكومة نهجاً كلياً أو دكتاتورياً ينتهك انتهاكاً خطيراً حق الاشخاص أو الفئات الاجتماعيّة^{١٤}. لكنه من العدل ان تتمكن الكنيسة من التبشير بالايمان دائماً وفي كل مكان بحريّة حقّة وان تعلّم عقيدتها حول المجتمع متمّة، دون عوائق، رسالتها بين البشر. وإنه لعدل ايضاً ان تتمكن من

١٢. المرجع نفسه، ٧٤.

١٣. المرجع نفسه، ٧٥.

١٤. المرجع نفسه، ٧٥.

اصدار حكمها الأدبي حتّى في القضايا التي لها علاقة بالحقل السياسي إذا اقتضت ذلك حقوق الشخص الاساسية بما فيها خلاص النفوس، مستعملة كل الوسائل أي تلك التي تطابق الانجيل فقط وتتلاءم وخير الجميع وفقاً لتنوّع الأنظمة والظروف^{١٥}. من هنا يجب الحفاظ على الشرائع الأدبية وحقوق الانسان وكرامته سواء كان في تحرّي الأخبار أو نشرها^{١٦}. والمجمع، وهو يتطرق الى الحرية الدينية يهدف الى التوسع بتعليم أحدث الاحبار الأعظمين عن حقوق الشخص البشري التي لا تنتهك، لا سيّما نظام المجتمع القانوني^{١٧}، ويعلن أنه من واجب كلّ فرد ومن حقّه بالتالي ان يبحث عن الحقيقة في الأمور الدينية ويستعمل الوسائل المناسبة ليصوغ له برشد حكماً ضميرياً حقيقياً ومستقيماً^{١٨}. وان الخير العام للمجتمع - أي مجمل ظروف الحياة الاجتماعية التي يستطيع الناس بواسطتها ان يبلغوا الكمال الذاتي بطريقة أكمل وأسهل - يقوم، بادئ ذي بدء، بالمحافظة على حقوق الشخص البشري وواجباته. فكم يكون بالحرى منافياً لارادة الله ولحقوق الشخص البشري المقدسة ولحقوق

١٥. المرجع نفسه، ٧٦.

١٦. قرار مجمعي في وسائل الاعلام الاجتماعية، ٥.

١٧. بيان في الحرية الدينية، ١.

١٨. المرجع نفسه، ٣.

عائلة الأمم استعمال القوة، مهما كان نوعها، للقضاء على الديانة أو لاقامة الحواجز في سبيلها^{١٩}.

أما على الصعيد التربوي فعلى الدولة ان تضمن حقّ الأولاد في تربية مدرسيّة صالحة، فتسهر على كفاءة المعلمين، ومستوى الدروس، وصحة التلامذة ايضاً، وعلى تنظيم الجهاز المدرسي بوجه عام، واضعةً نصب عينها مبدأ الاستطراد، وبالتالي نابذة كلّ احتكار مدرسي^{٢٠}. ورغم ان واجب التربية يعود في الدرجة الاولى للعائلة، غير ان ذلك يتطلّب مساعدة المجتمع كلّ. فعلاوةً على حقوق الأهلين وسائر المربّين الذين إليهم يوكل الأهلون جزءاً من دورهم التربوي، على المجتمع المدني مسؤوليات وحقوق معيّنة في تنظيم ما هو ضروري للخير العام الزمني^{٢١}. فلجميع الناس، دون أي اعتبار للجنس، والعمر، والحال، بما انهم ينعمون بكرامة الانسان الشخصية، حق لا ينقض في تربية تتجاوب مع دعوتهم الخاصة، وتوافق طبعهم، واختلاف اجناسهم وثقافتهم وتقاليدهم العريقة، وتنتفتح، في الوقت نفسه، على تبادل أخوي بينهم وبين سائر الشعوب لدعم الوحدة الحقّة

١٩. المرجع نفسه، ٦.

٢٠. بيان في التربية المسيحية، ٦.

٢١. المرجع نفسه، ٣.

والسلام في العالم^{٢٢}. ولكن يعود للأهل الحق في تقرير جوهر التنشئة الدينية التي يجب ان تُعطى لأولادهم وفقاً لاعتقادهم الديني الخاص. وحقوق الأهل تنتهك عندما يُرغم الأبناء على متابعة دروس لا تتفق ومعتقدهم الديني أو عندما تفرض طريقة وحيدة للتربية تنفي منها كل تنشئة دينية^{٢٣}. وأما تلميذ المسيح فعليه واجب خطير وهو التعمق، يوماً بعد يوم، في فهم الحقيقة التي تلقاها منه وان يبشر بها بأمانة ويدافع عنها بشدة نابذاً الوسائل المنافية لروح الانجيل. وان محبة المسيح لتدفعه ايضاً الى ان يتصرف بالحب والفتنة والصبر مع الناس الذين هم في الضلال. فمن ثم يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار سواء الواجبات تجاه المسيح الكلمة المحيبي الذي يجب ان يُبشر به، أو حقوق الشخص البشري بمقدار النعمة التي وهبت بالمسيح من قبل الله الى الانسان المدعو الى تقبل الايمان والمجاهرة به بملء رضاه^{٢٤}. لذلك يعلن المجمع ان الحق في الحرية الدينية والتربية عليها، مبني فعلاً على كرامة الشخص البشري نفسه حسبما أبانها كلام الله الموصى به وحسبما أبانها العقل نفسه. فيجب إذن ان يُعترف بحق الشخص البشري في الحرية الدينية في تنظيم المجتمع القانوني بحيث يصبح حقاً مدنياً. وذلك انطلاقاً من ان جميع

٢٢. المرجع نفسه، ١.

٢٣. بيان في الحرية الدينية، ٥.

٢٤. المرجع نفسه، ١٤.

الناس، بمقتضى كرامتهم وبما أنهم أشخاص أي متزینون بالعقل والارادة الحرة وبالتالي بالمسؤولية الشخصية، مدفوعون بطبيعتهم ذاتها الى البحث عن الحقيقة وملزمون بها أدبياً، تلك الحقيقة التي تتناول الديانة أولاً. فعليهم ان يعتنقوها حالما يعرفونها وينظموا حياتهم كلها وفقاً لمقتضياتها. ولا يتمكن الناس من تميم هذا الالتزام بطريقة تتناسب مع طبيعتهم الذاتية إن لم يتمتعوا بالحصانة ضد أي ضغط خارجي، علاوة على الحرية السيكولوجية. فالحق في الحرية الدينية مبني على طبيعة الانسان نفسها لا على استعدادات الشخص الذاتية. ولذلك يستمر الحق في هذه الحصانة عند الذين لا يفون بالالتزام القضائي بالبحث عن الحقيقة واعتناقها. ولا يمكن منع ممارسة هذا الحق طالما يبقى مصوناً نظام عام وعادل^{٢٥}. ونظراً للاوضاع الخاصة ببعض الشعوب، إذا اعترف لجماعة دينية واحدة اعترافاً مدينياً مميزاً في تنظيم المدينة التشريعي، فانه لمن الضروري ان يُعترف بالوقت نفسه للمواطنين جميعاً وللجماعات الدينية بحقوقهم في الحرية في الأمور الدينية وان يُحترم ذلك الحق^{٢٦}. لذلك يؤكد المجمع الفاتيكاني على ان حق الانسان في الحرية الدينية والتربية عليها هو موطد على كرامة الشخص التي بدت مقتضياتها للعقل البشري بمزيد من الوضوح عبر اختبار

٢٥. المرجع نفسه، ٢.

٢٦. المرجع نفسه، ٦.

الأجيال ٢٧. وللمسيحيين حق في تربية مسيحية وقد غدوا خلائق جديدة بعد ان ولدوا من الماء والروح القدس فدعوا بالتالي أبناء الله وإنهم كذلك في الحقيقة ٢٨. ويستدرك الجمع قائلاً: "بما ان للمجتمع المدني الحق في ان يكون بمأمن من التجاوزات التي قد تنشأ بحجة الحرية الدينية، فمن اختصاص السلطة المدنية ان تؤمن هذه الحماية. ولكن يجب ألا تتم اعتبارياً، فتعاون أحد الطرفين بصورة ظالمة بل وفقاً للأنظمة القانونيّة المطابقة للنظام الأدبي الموضوعي، تلك الأنظمة التي تقتضيها صيانة فعّالة لحقوق المواطنين جميعاً الى جانب مجانسة هذه الحقوق بطريقة سلميّة والاهتمام الكافي بهذا السلام العام، الشريف الذي يقوم بالتعايش الموّطد على العدالة الحقّة والحفاظ الواجب على الاخلاق العامّة" ٢٩.

لذلك يجب ان يوفّر للانسان كل ما يحتاجه ليعيش حياة إنسانية حقّة، مثلاً: الغذاء والكساء والمسكن والحق في اختيار الحياة التي يريد اختياراً حراً والحق في ان يؤسّس عائلة ويربيها، والحق في العمل والعيش والاحترام والاطلاع الوافي، والحق في ان يتصرّف حسب قاعدة ضميره

٢٧. المرجع نفسه، ٩.

٢٨. بيان في التربية المسيحية، ٢.

٢٩. بيان في الحرية الدينية، ٧.

الصحيحة، والحق في المحافظة على حياته الخاصة وفي حرية
عادلة حتى في القضايا الدينية^{٣٠}.

وأمّا في ما يختصّ بحقوق المرأة وحق العمل والحق في
تأسيس النقابات، فيقول المجمع: "إنّ كلّ نوع من التمييز
الذي يتناول حقوق الانسان الأساسية، اجتماعية كانت أم
ثقافية، سواء ارتكز على الجنس واللون والعرق وعلى
الوضع الاجتماعي أو اللغة، أو الدين، يجب أن يُتعدّى ويُلغى
لأنه مناف لتصميم الله. والحق يقال إنه لمن المحزن ان نتأكد
ان هذه الحقوق الأساسية، حقوق الانسان، لم تحترم بعد في
كلّ مكان. أليست هذه هي الحال عندما تحرم المرأة حق
اختيار زوجها بملء حريتها، أو تختار طريقة حياتها أو أن
تحصل على تربية وثقافة تشبهان التربية والثقافة المعترف بها
للرجل^{٣١}. فكلّ ما يصاد الحياة نفسها، كأنواع القتل والوَأَد
والاجهاض والاجهاز على المرضى والانتحار عمداً، كما ان
كلّ ما يشكّل انتهاكاً للانسان بكامله وما يسيء الى كرامته
كالمتاجرة بالنساء، إن كل هذه التصرفات والعادات وما
يشبهها هي في الواقع مشينة^{٣٢}. واما على صعيد الحق
بالعمل، فالانسان بشغله يضمن عادة عيشه وعيش عائلته

٣٠. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٢٦.

٣١. المرجع نفسه، ٢٩.

٣٢. المرجع نفسه، ٢٧.

ويشترك مع اخوانه مقدماً لهم الخدمات ويستطيع ان يمارس المحبة الحقيقية مساهماً باكمال الخلق الالهي. وعلاوة على ذلك يؤكد اجمع ان الانسان، بما يقدم بعمله من اكرام لله، يشترك بعمل المسيح الفدائي الذي أضفى على الشغل كرامة سامية عندما اشتغل بيديه في الناصرة. وينتج عن هذا ان على كل انسان ان يعمل باستقامة كما ان له الحق في العمل^{٣٣}. لذلك يجب ان يسمح للعمال بتأسيس الجمعيات التي يشاءون والتي تقدر ان تمثلهم بطريقة شرعية. ولهم الحق ايضاً في المساهمة بتنظيم الحياة الاقتصادية التنظيم الصحيح. ولهم الحق ايضاً في ان يشتركوا بملء الحرية في نشاط هذه الجمعيات دون ان يتعرضوا للانتقام^{٣٤}. وانه لمن المناسب تماماً لطبيعة الانسان ان تقوم أنظمة سياسية قضائية تقدم دوماً للمواطنين جميعهم دونما تمييز الامكانية الفعالة ليشتركوا بنشاط وحرية سواء في إرساء الأسس القانونية للجماعة السياسية أو في إدارة المصالح العامة وتحديد حقوق العمل وأهداف الأجهزة المختلفة واختيار الحكام. فليذكر إذن، يقول المجمع، جميع المواطنين ما لهم من حق وما عليهم ايضاً من واجب ليدلوا بأرائهم بحرية من أجل الخير العام^{٣٥}.

٣٣. المرجع نفسه، ٦٧.

٣٤. المرجع نفسه، ٦٨.

٣٥. المرجع نفسه، ٧٥.

وهكذا، فالجمع الفاتيكاني الثاني، يشدّد على حقوق الانسان بكلّ أبعادها الوجوديّة وبكلّ تطلّعاتها الماورائيّة، لافتاً النظر، بنوع خاص، الى الحرّيّة الدينيّة وحرّيّة المعتقد، والى حقّ الانسان في المجتمع، والى ضرورة قيام الدولة بكلّ ما يحفظ له هذه الحقوق. والانسان، بصفته نال هذه الحرّيّة من الله، فانه ليس بإمكان ايّ انسان آخر ان يسيطر عليه، وان يجرّمه من حقوقه التي هي عطية من الله تعالى. فالحقوق جميعها نالها من مجرّد انه خلق حرّاً، والكنيسة عليها ان تدافع عن هذه الحقوق لأنها الأمانة على رسالة المسيح الذي افتدى البشر ليتحرّروا من الخطيئة أولاً، وبالتالي من عبودية الانسان لأخيه الانسان. وليس عدلاً ان تسيطر فئة على أخرى من مجرّد أنها الأقوى، أو دولة على أخرى من مجرّد ان لها الامكانيات التقنيّة والعسكريّة التي تجعل منها دولة قويّة وذات شأن على الصعيد الدولي. فالحقوق هي لكلّ انسان ولو كان أعزلاً، وله الحق بان يطالب بها بصفته خليفة الله الحرّة المفتداة بدم المسيح المخلص. وتشديد الجمع على حقوق حرّيّة الدين والمعتقد ينبع من سلطتها الالهية التي ميّزها بها يوم سلّمها السهر على نفوس البشر بواسطة رسله الذين أرسلهم رعاةً للعالم أجمع. وما رسالة الكنيسة هذه سوى رسالة إلهيّة غايتها إيصال كلّ فردٍ الى السعادة الأبديّة التي أعدّها الله لكلّ أبنائه البشر.

الفصل الثالث

الانسان والخلاص

خلاص الانسان، وعودته الى أحضان الآب السماوي بعد سقطة آدم في الفردوس، ربّما كان الغاية الأولى في سياق التدبير الالهي في الزمن، لأن الله الذي خلق بالحبّة أبت عليه محبّته هذه إلاّ ان يعيد الانسان الى كرامته وسعادته التي ارادها له في الفردوس الارضي. وكلّ عمل الكنيسة التي أوجدها السيد المسيح ليس إلاّ لتحقيق هذا الخلاص للانسان الساقط في الخطيئة، ولكي تعمل على نشر ملك المسيح على الارض تمجيّداً للآب، ولتشرك البشر جميعاً في الفداء والخلاص. فعمل المسيح الفدائي، وهو يهدف بطبيعته الى خلاص البشر، يشمل ايضاً بناء النظم الزمنية بكاملها. لذلك توجّب "على العلماني، كما يقول المجمع، ان يتعلّم أولاً ان يتمّ رسالة المسيح والكنيسة وذلك بان يحيا بالايمان بسرّ الخلق الالهي والفداء، وقد دفعه الروح القدس الذي ينعش شعب الله والذي يحث الناس بأجمعهم على ان يحبّوا الله الآب وعلى أن يحبّوا فيه العالم والناس"^١. فابن الله افتدى الانسان في الطبيعة البشرية التي أخذ، إذ انتصر على الموت

١. قرار مجمعي في رسالة العلمانيين، ٢٩.

بموته وقيامته، وحولَه الى خليقة جديدة^٢. وفي كلِّ مرّة يحتفل على المذبح بذبيحة الصليب التي بها ذبح المسيح يتم عمل خلاصنا، وذلك لأن المسيح دشّن ملكوت السموات على الارض ليتمم إرادة أبيه فكشف لنا عن سرّ الآب وأتمّ الفداء بطاعته. لذلك على كل أعضاء الجسد السريّ، الذين هم المؤمنون، ان يتشبّهوا به الى ان يتصوّر المسيح فيهم، متحدّين باسرار حياته، ومتمثّلين به، ومشترّكين بموته وقيامته الى ان يملكوا معه، وهم في حجّ على الارض يتبعون آثاره عبر الضيق والاضطهاد، ويشترّكوا في آلامه كما الجسد في الرأس، متألّمين معه ليتمجّدوا معه^٣. فالرب نفسه أتى ليعيد الى الانسان الحرية والقوة ويجدّده من الداخل وي طرح خارجاً "أركون هذا العالم"^٤ الذي يستعبده بالخطيئة. وعندما يصبح المسيحي مطابقاً لصورة الابن، البكر بين أخوة كثيرين، يقبل بواكير الروح التي تمنحه القوة ليتمم الشريعة الجديدة، شريعة الحبّ. وبواسطة هذا الروح، عربون الميراث، يتجدّد الانسان كلّهُ باطنياً بانتظار افتداء الجسد. وبهذا المعنى يؤكّد المجمع قائلاً: "واذا كان المسيح مات عن الجميع، واذا كانت دعوة الانسان الاخيرة هي حقاً واحدة للجميع، أي إنها دعوة إلهيّة، علينا إذن ان نتمسك بان

٢. غلاطين، ٦: ١٥؛ ٢ كورنتوس، ٥: ١٧.

٣. دستور عقائدي في الكنيسة، ٧.

٤. يوحنا، ١٢: ٣٦.

الروح القدس يقدّم للجميع الامكانيّة للاشتراك بسرّ الفصح بطريقة يعرفها الله وحده"٥.

من جهةٍ أخرى، بما ان المسيح افتدى الانسان وجعله خليفةً جديدةً في الروح القدس، يستطيع هذا الانسان، بل عليه ان يحبّ هذه الاشياء التي خلقها الله نفسه٦. والله وحده، الذي خلق الانسان على صورته وافتداه من الخطيئة، يتمّ جوابه بواسطة الوحي الذي أعطاناه بالمسيح ابنه الالهي الذي صار انساناً. ومن يتبع المسيح، ذلك الانسان الكامل، يصبح هو ايضاً إنساناً أكمل٧. وهذا الانسان، بما يقدّمه بعمله من إكرام الله، يشترك بعمل يسوع المسيح الفدائي الذي اضفى على العمل كرامة سامية عندما اشتغل بيديه في الناصرة٨. ولقد تمّ وحيه لنا عندما كمل على الصليب عمل الفداء الذي حصل به للناس الخلاص والحرية الحقّة. فعمل خلاص البشر هذا ومجد الله الأعظم، الذي مهّد له الاعمال الالهية العظيمة في شعب العهد القديم، أممه المسيح الربّ ولا سيّما في سرّ فصح آلامه السعيدة وقيامته من بين الاموات وصعوده المجيد، سرّ فصحيّ به "حطّم الموت بموته

٥. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٢٢.

٦. المرجع نفسه، ٣٧.

٧. المرجع نفسه، ٤١.

٨. المرجع نفسه، ٦٧.

وجدّد الحياة بقيامته، لأنه من جنب المسيح المائت على الصليب ولد سرّ الكنيسة العجيب بكلّيته^٩. إنه راعي نفوسنا، وقد أسس كنيسته كي يكون لنا، نحن شعبه المختار الذي افتداه بدمه، الكاهن الأوّل، ولكي يكون المسيحيون خرافه الذين هو راعيهم، والآلات الحيّة المتجدّدة بسرّ كهنوته الازلي، إذ يتمّمون بجدارة، في الزمن، عمله الفدائي الفريد، بفاعلية فائقة، وبإيمان حيّ يجدّد البشرية كلها. والكنيسة، على مثاله، تسعى في رسالتها الى خلاص الناس الذي يتمّ بالإيمان بالمسيح وبنعمته، كما تعمل على نشر ملكه على الارض وتشرك البشر جميعاً في الفداء والخلاص إذ بهم يتوجّه العالم كلّهُ نحو المسيح. فالمسيح الذي قدّسه، أيّ كرّسه الآب وارسله الى العالم "بذل نفسه لاجلنا ليفتدينا من كلّ إثم ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً على الاعمال الصالحة"^{١٠}. وهكذا ادخل في مجده بعد ان تحمّل الآلام. وعن نفسه قال ايضاً: "ان روح الربّ عليّ ولذلك مسحني وارسلني لأبشّر المساكين واشفي منسحقى القلوب وايشّر الأسرى بالخلاص والعميان بالبصر"^{١١}. كما قال ايضاً: "إن ابن الانسان أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك"^{١٢}.

٩. دستور عقائدي في الليتورجيا المقدسة، ٥.

١٠. تيطس، ١٤:٢.

١١. لوقا، ١٨:٤.

١٢. لوقا، ١٩:١٠.

غير ان الطبيعة البشرية التي أخذها الكلمة الالهى هي في خدمته كأداة حية للخلاص لكونها متحدة به اتحاداً لا ينفصم. لذلك ان المؤمنين الذين تتألف منهم الكنيسة هم في خدمة روح المسيح الذي يعطيها الحياة لتنمو. وهذا الشعب الماسوي الذي رأسه المسيح، رغم كونه لا يشمل عملياً عامة البشر وان احتفظ غالباً بمظاهر القطيع الصغير، إنما هو بالنسبة الى الجنس البشري قاطبة الخلية الاولى الأكثر ثباتاً للوحدة والرجاء والخلاص^{١٣}. وكل الناس مدعوون للدخول في وحدة شعب الله الجامعة التي تبشّر بالسلام العام وتحثّ عليه. والى هذه الوحدة ينتمي، من ناحية وتحت اشكال شتى، أو ينتظم المؤمنون الكاثوليك، ومن ناحية اخرى كل الذين يؤمنون بالمسيح، واخيراً، بدون استثناء، كل الذين تدعوهم نعمة الله الى الخلاص^{١٤}. وبهذا المعنى "يوجه المجمع المقدس تفكيره، في بادئ الأمر، الى المؤمنين الكاثوليك. ويعلم ان هذه الكنيسة في سيرها على الارض ضرورية للخلاص، مستنداً في ذلك الى الكتاب المقدس والتقليد"^{١٥}. وينتمي الى مجتمع الكنيسة انتماءً تاماً أولئك الذين، بروح المسيح الذي لهم، قبلوا نظامه بكامله ووسائل الخلاص التي

١٣. دستور عقائدي في الكنيسة، ٩.

١٤. المرجع نفسه، ١٣.

١٥. المرجع نفسه، ١٤.

اعطيت له والذين بفضل روابط الاعتراف بالايمان والأسرار، والسلطة الكنسية والشركة يتحدون مع المسيح في مجموعة الكنيسة المتطورة يديرها بواسطة الحبر الأعظم والأساقفة. ولكن الانتماء الى الكنيسة لا يؤكد الخلاص للذي، إذ لم يدم في اخبة، بقي في الكنيسة قلباً لا قلباً^{١٦}. وهكذا فلا يستطيع ان يخلص اولئك الذين يرفضون إمّا ان يدخلوا الكنيسة الكاثوليكية او ان يبقوا فيها، بينما يعلمون ان الله أسسها ليسوع المسيح ضرورية للخلاص. من هنا فعلى العلمانيين ان يعملوا في الرعية بالاتحاد مع كهنتهم، وليطلعوا جماعتهم الكنسية على مشاكلهم الخاصة ومعضلات العالم، وعلى القضايا التي تتعلق بخلاص النفوس فيحثونها معاً ويجتهدون في إيجاد الحل لها بعد الاطلاع على آراء الجميع. وبحبّتهم الاخوية عليهم أن يشاركوا إخوتهم في أوضاع حياتهم وعملهم، وفي آلامهم ورجباتهم يهيئون قلوبهم من حيث لا يشعرون لعمل نعمة الخلاص، متذكّرين أنه بالعبادة الجماعية والصلاة، وبالتوبة وقبول اتعاب الحياة وضيقاتها القبول الحارّ والتي تجعلهم على صورة المسيح المتألم يستطيعون إدراك جميع الناس والعمل على خلاص العالم بأسره. فالمسيح يعطي باستمرار لجسمه، أي للكنيسة، مواهب الخدم التي بها تقدّم بعضنا الى البعض الآخر، بفضل قوته، الخدمات الضرورية للخلاص، بنوع أنا نحق الحقّ بالخبّة

١٦. المرجع نفسه، ١٤.

لننموا عبر كلّ شيء في من هو رأسنا^{١٧}. وقد أقام المسيح هذه الكنيسة شركة حياة ومحبة وحق، وهي بين يديه أداة خلاص كلّ البشر مرسلاً إياها نوراً للعالم وملحاً للارض^{١٨}. وفي سرّ ذبيحة الافخارستيا، الذي فيه تتم مهمتها العليا، يتم عمل خلاصنا باستمرار. وكما ان المسيح قد أتمّ الفداء بالفقر والاضطهاد، فالكنيسة هي مدعوة ايضاً ان تلج ذات الطريق كي توصل الى العالم ثمار الخلاص.

أمّا الذين يشملهم تصميم الخلاص فهم أولئك الذين يعترفون بالخالق، ومن بينهم أولاً المسلمون الذين يقرّون أن لهم إيمان ابراهيم، ويعبدون معنا الاله الواحد الرحيم، الذي سيدين البشر في اليوم الأخير. وحتى الذين يفتشون بعد وتحت الاشكال وفي الصور عن إلهٍ يجهلونه، ليس الله ببعيد عنهم لأنه هو الذي يمنح الجميع حياةً ونفساً وكلّ شيء، ولأنه كمخلص يريد أن يقود كلّ الناس الى الخلاص. وايضاً أولئك الذين، دون خطأ منهم، يجهلون انجيل المسيح وكنيسته، إنما يفتشون عن الله بنية صادقة ويجتهدون في أن يكملوا باعمالهم إرادته التي تعرف لديهم من خلال أوامر ضميرهم، هم ايضاً يبلغون الى الخلاص الابدي. ولا تمنع العناية الالهية المعونات الضرورية للخلاص عن أولئك الذين

١٧. المرجع نفسه، ٧.

١٨. متى، ١٣: ١٦.

بدون ذنب منهم لم يتوصّلوا بعد الى معرفة الله الصريحة ويعملون على أن يسيروا سيرة مستقيمة بمساعدة النعمة الالهية^{١٩}. والكنيسة تطلب بالحاح شديد من أبنائها ان تقام قبل كلّ شيء تضرعات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس لأن ذلك حسنٌ ومرضيٌ لدى الله مخلصنا الذي يريد ان يخلص جميع الناس ويبلغوا الى معرفة الحق. والرسل أنفسهم قد اجتهدوا دوماً في ان يكونوا شهوداً، على غرار المسيح، أمام الشعب ورؤسائه، معتقدين اعتقاداً راسخاً، ومعتبرين ان الانجيل هو حقاً قوّة الله لخلاص كلّ من يؤمن به. والمسيحي عندما يهمل التزاماته الأرضية يهمل ايضاً التزاماته نحو القريب وبالتالي نحو الله نفسه، ويعرّض خلاصه الابدي للخطر. لذلك عليه ان يكون شاهداً في حياته للآخرين لأنه بالاستشهاد والشهادة يصبح تلميذاً شبيهاً بمعلمه الذي قبل الموت بكل حرية لأجل خلاص العالم. كما ان الله لم يخلق البشر ليعيشوا منفردين، بل ليتحدوا في جماعة، حسن لديه كذلك ان يقدّس ويخلص البشر ليس افراداً دون ان يكون بينهم ارتباط، بل ان يجعلهم شعباً يعترف به في الحق ويخدمه بالقداسة. ولذلك اختار منذ بدء التاريخ اناساً ليس فقط كأفراد بل كأعضاء في جماعة^{٢٠}. من هنا فعلى كل العلمانيين يقع العبء الشريف في العمل

١٩. دستور عقائدي في الكنيسة، ١٦.

٢٠. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٣٢.

المستمرّ على ان يصل التدبير الالهي للخلاص الى كلّ الناس في كلّ زمان ومكان يوماً بعد يوم. وبالتالي يجب ان تفتح الطريق فسيحة أمامهم من كل الجهات حتى يتمكنوا ان يشتركوا باجتهادهم ايضاً على قواهم وحسب حاجات العصر في عمل الكنيسة الخلاصي^{٢١}. فالكنيسة تعلن لغير المؤمنين بشرى الخلاص لكي يعرف كل البشر الاله الواحد الحقيقي، والذي أرسله، يسوع المسيح، ولكي يغيروا سلوكهم بما يصنعون من توبة^{٢٢}. والله قد أعدّ بحلمه الفائق ما كان قد أوحى به لخلاص جميع الأمم كي يدوم بكليته مدى الدهر ويسلم للأجيال كلّها. ولهذا فان السيد المسيح، الذي فيه يتم وحي الله العالي بكامله، بعد ان كمل وأعلن بنفسه البشارة التي كان الأنبياء قد وعدوا بها، أمر رسله وأعطاهم المواهب الالهية ليكرزوا بها على الجميع كينبوع لكل حقيقة خلاصية ونظام اخلاقي، ولقد تحقّق ذلك بكل أمانة إمّا على يد الرسل الذين لم تكن كرازتهم الشفوية ومثلهم ومؤسساتهم سوى نتيجة لأقوال المسيح أو لمعاشرته أو لأعماله أو لما تعلّموه بوحي من الروح القدس، وإمّا على يد أولئك الرسل وصحبهم الذين بالهام الروح القدس عينه دوّنوا بشارة الخلاص^{٢٣}. وان قصد الله الشامل لأجل

٢١. دستور عقائدي في الكنيسة، ٣٣.

٢٢. دستور عقائدي في الليتورجيا المقدسة، ٩.

٢٣. دستور عقائدي في الوحي الالهي، ٧.

خلاص الجنس البشري لا يتم فقط بطريقة شبه خفية في عقول الناس، بل بمبادرات يبحث الناس من خلالها عن الله بطرق متعددة إذا ما تمكنوا من ان يبلغوا إليه أو يجدوه. وهذه المبادرات تحتاج الى تنوير وتصحيح وإن يكن بالامكان اعتبارها احياناً، وفقاً لتصميم العناية الرؤوف، كتدريب يقود الى الاله الحق أو كتحضير للانجيل^{٢٤}. فما بشر به الربّ أو صنعه مرّة واحدة لأجل خلاص الجنس البشري يجب ان يركز به وينشر حتى أقاصي الارض ابتداء من اورشليم بحيث ان ما تمّ مرة واحدة لأجل خلاص الكلّ، يؤديّ، عبر الاجيال، الى نتيجة فعّالة عند الجميع. لذلك يقع على عاتق الكنيسة واجب نشر ايمان المسيح وخلاصه سواء كان ذلك بقوة التكليف الصريح الذي ورثه من الرسل سلك الاساقفة الذين يعاونهم الكهنة بالاتحاد مع خليفة بطرس راعي الكنيسة الأعظم أم بقوة الحياة التي ينفحها المسيح في اعضائه الذي منه كلّ الجسد ينسق ويتلاءم بكل المفاصل المتعاونة، وبحسب العمل الذي يناسب كل عضو ينشئ لنفسه نمواً لبنائه في المحبة^{٢٥}. وان ساعدت الكنيسة العالم أو قبلت منه المساعدة فانها تنشُد غاية وحيدة وهي ان يأتي ملكوت الله ويتوطد خلاص الجنس البشري^{٢٦}.

٢٤. قرار مجمعي في نشاط الكنيسة الارسالي، ٣.

٢٥. المرجع نفسه، ٥.

٢٦. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٤٥.

من جهة أخرى فان كرامة أعضاء شعب الله مشتركة بحكم تجديدهم بالمسيح ومشتركة بنعمة التبنّي، ومشتركة بالدعوة للكمال. والخلاص هو واحد والرجاء واحد والمحبة غير متجزأة. فالمسيح الذي رفع عن الارض جذب إليه كلّ البشر. وقد قام من بين الأموات وأرسل روحه المحيي الى تلاميذه وأقام بواسطته جسده الذي هو الكنيسة، بمثابة سرّ الخلاص الشامل. والايمان المسيحي يعلمنا ان الموت الجسدي لم يكن الانسان ليخضع له لولا الخطيئة، وإن هذا الموت سيزول عندما يعيد المخلص الرحوم والكلي القدرة الى الانسان الخلاص الذي خسره بخطيئته. وبكلام تبشير الكنيسة، والاحتفال بالاسرار والافخارستيا يجعل المسيح نفسه حاضراً ليجعل الانسان منتصباً على الخطيئة والموت من اجل خلاصه الابدي. وهذه الكنيسة قد تسلّمت من الرسل وصية المسيح الرسمية لتكرز بحقيقة الخلاص وتتابع تنفيذها الى اقاصي الارض. وأمّا في ما يتعلق بالمهمّات التربوية في الكنيسة فيجب الاعتراف لها بأهليتها، لا من حيث أنها مجتمع بشري وحسب، بل بنوع خاص لأن عليها تقع مهمّة تبشير الناس طريق الخلاص، واعطاء المؤمنين حياة المسيح ومساعدتهم بعناية متواصلة الى بلوغ الانفتاح الكلي على حياة المسيح هذه. واذ تحتفل باسرار الفداء فانها تفتح للمؤمنين كنوز فضائل ربّها واستحقاقاته بحيث تجعلها حاضرة

نوعاً ما في كلّ زمن يستطيع المؤمنون أن يبلغوا إليها وتملأهم
نعمة الخلاص^{٢٧}. وإن الله يتمجدّ تمام التمجيد بهذه
الاحتفالات وبالنشاط الرسولي للكنيسة عندما يقبل البشر،
بالوعي الكامل، عمله الخلاصي الذي تمّمه المسيح.

فالإنسان إذن قد خلقه الله للخلاص، وافتداه بعد
سقطته لأنه أحبّه وأحبّ خلاصه. ولقد أسّس المسيح كنيسته
لتحضن كلّ إنسان وتعيده إلى القطيع الذي يرعاه الروح
القدس ويسهر عليه. فالسيد المسيح، الذي فيه يتمّ وحي
الله العلي بكامله، بعد أن كمل وأعلن بنفسه البشارة التي
كان الأنبياء قد وعدوا بها، أمر رسله وأعطاهم المواهب
الالهية ليكرزوا بها على الجميع كينبوع لكل حقيقة خلاصية
ونظام اخلاقي. والإنسان ينهل من هذا النبع الخلاصي،
موطّداً إيمانه بربه وبكنيسته التي تحمل إليه البشارة. وفي
النهاية العذراء مريم، التي لم يتوقف دورها الخلاصي بعد
صعود المسيح إلى السماء، تبقى الساهرة على أبنائها إذ
تحصل لهم بشفاعتها على النعم التي تؤكّد خلاصهم الأبدي.
من هنا تشديد آباء المجمع على اعتبارها المسهمة والشفعية
للكنيسة جمعاء ولابنائها. فالمسيح قدّم ذاته طوعاً إلى الآلام
والموت بسبب خطايا جميع الناس لكي يحصلوا جميعهم على

٢٧. دستور عقائدي في الليتورجيا المقدسة، ١٠٢.

الخلاص، والعدراء مريم تحمّلت الآلام مع ابنها الالهى لكي
يخلص ابتأؤها بالتبني وهم البشر قاطبة.

أمّا المساهمة الاخيرة للانسان في الخلاص، فهي
مساهمة العضو في جسد المسيح السري الذي أقامه لأجل
خلاصنا الدائم الابدي.

الفصل الرابع

الانسان والخطيئة

موضوع الخطيئة في حياة الانسان شغل اللاهوتيين في الكنيسة منذ البداية، وراح الدارسون والمحلّلون يتعمّقون في مفهومها وفي التأثير الذي أثمرته عليه منذ السقطة الاولى ونتائجها. فالخطيئة الأصلية كانت اللطخة الاولى التي شوّهت براءة آدم في الفردوس، ومن نتائجها أنها لوّثت مجرى التاريخ بعيوب جسيمة وجعلت الانسان يقع في أضاليل عديدة وفي فسادٍ خلقي إن علي الصعيد الفردي أو على الصعيد الجماعي. والمجمع، إذ يؤكد على ذلك، يعلن ما يلي: "ان الناس، إذ يستعملون الأشياء الزمنية، يلوّثونها على مجرى التاريخ بعيوب جسيمة. فهم، وقد لطختهم الخطيئة الأصلية، سقطوا في أضاليل كثيرة بالنسبة الى الاله الحقيقي وطبيعة الانسان ومبادئ الشريعة الاخلاقية. فأفسدت من جرّاء ذلك الاخلاق والمؤسّسات البشرية وحقّر الشخص البشري تكراراً"^١. وأمّا نتائج هذه الخطيئة فهي ان دبّ الفساد في نظام الأشياء، ومال الانسان الى الشرور بدافعٍ داخلي كأنه وسواس شيطاني، ولم يتمكن من التغلب على

١. قرار مجمعي في رسالة العلمانيين، ٧.

ذلك رغم انه بذل جهوداً جبّارة، وحتى بمساندة النعمة، فكان ان تفشّى الشرّ الأدبي وطال عمق كيان الانسان، ووقف في وجه الحق والخير، ودفع بالكائن البشري الى الهوّة، لولا تجسّد المسيح وفدائه للبشر بموته على الصليب. وإذا يشرح المجمع هذه الحالة، يعلن في الدستور الراعوي في الكنيسة وعالم اليوم ما يلي: "لقد أقام الله الانسان في حالة البرارة. غير أنّ الشرير أغواه منذ بدء التاريخ فأساء استعمال حريته واقفاً في وجه الله، راعباً في ان يصل الى غايته بدونه تعالى. لقد عرفوا الله "غير أنهم لم يعبدوه كإله...". فأظلم قلبهم الغبي "وخدموا الخليفة وفضلوها على الخالق". وان ما يبيّن لنا الوحي الالهي بهذه الصورة يشبه اختبارنا بالذات. فالانسان، إذا تفرّس في اعماق قلبه، يكتشف أنه ميّال ايضاً الى الشرّ، تغمره ويلات كثيرة لا يمكن ان تأتيه من خالقه لأنه صالح. فغالباً ما رفض الانسان ان يعترف بان الله هو مبدأه ولذلك نقض النظام الذي كان يوجهه نحو غايته الأخيرة وحطّم كل تناغم ان بالنسبة لنفسه او لسائر الناس أو للخليفة كلّها"^٢.

فالانسان، إذن، خلقه الله في حالة البرارة، لكن الشيطان أغواه فوق في الخطيئة وفي الموت الجسدي الذي لم يكن ليخضع له لولا هذه الخطيئة. ولكن هذا الموت

٢. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ١٣.

وهذه الخطيئة قد انتصر عليهما السيد المسيح بتجسده وبفدائه الانسان انطلاقاً من رحمته الكليّة القدرة وبالتالي فالانسان بدوره انتصر على هذا الموت وعلى هذه الخطيئة لأن الله دعاه ولا يزال يدعو ليتحد به بملء كيانه اتحاداً أبدياً قوامه حياة إلهية لا تبدل. ولقد حقق ذلك السيّد المسيح بقيامته محرراً الانسان من الموت بموته هو. وبهذا المعنى يقول المجمع: "إنه صورة الله غير المنظور" (كولس ١: ١٥)؛ إنه الانسان الكامل الذي رمّم في ذرية آدم المثل الالهي الذي شوّهته الخطيئة الأولى. لأنه هو الذي أخذ الطبيعة البشرية دون أن يمتصّها فرفع هكذا طبيعتنا ايضاً الى مرتبة وكرامة لا مثيل لهما^٣. غير انه متوجّب على هذا الانسان ان يبذل جهوداً جبّارة بمساندة النعمة لكي يدفع بالشرّ والخطيئة عنه، وذلك لأنّ الفساد قد دبّ في نظام الأشياء نتيجة هذه الخطيئة، وهو سيكون الضحية الكبرى لهذا الفساد إذا لم يستند الى القوّة السامية التي هي قوّة الله اللامحدودة. وهذه الخطيئة تنتقص من الانسان نفسه إذ تمنعه من بلوغ كماله. ورغم أن الانسان نفس وجسد، غير انه حقاً واحد. وهو بوضعه الجسدي ذاته صورة مصغرة لعالم الأشياء التي تجد فيه ذروتها وتستطيع بحريّة ان تسبح خالقها. فلا يسمح للانسان بان يحتقر الحياة الجسديّة. بل بالعكس عليه ان يقدّر ويحترم جسده الذي خلقه الله

٣. المرجع نفسه، ٢٢.

والمدعو الى القيامة في اليوم الاخير. ومع ذلك بما ان الخطيئة جرحته فالانسان يحسّ في ذاته بشورات الجسد. وكرامته نفسها هي التي تقضي بان يمجد الله في جسده دون ان تدعه عبداً لميول القلب الشريرة^٤. غير ان الحرية الانسانية التي جرحتها الخطيئة لا تستطيع ان تسير نحو الله كلياً بطريقة فعلية إلا بمعونة النعمة الالهية. وعلى كلّ انسان ان يؤدّي حساباً عن حياته أمام منبر الله عن الخير والشرّ الذي فعله. فالله سيحاسب لأنه العادل رغم محبته وعطفه وحنانه. والانسان، بقدر ما يكون ملتزماً بالتوجيه الالهي وبالوحي السماوي، بقدر ذلك يكون بعيداً عن الخطيئة وقریباً من الله. فهو على مثال السيد المسيح الذي اشتغل بيدي انسان وفكر كما يفكر الانسان وعمل بارادة إنسان وأحبّ بقلب انسان. وبولادته من العذراء مريم صار حقاً واحداً منّا، شبيهاً بنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة. والانسان المؤمن يصبح ايضاً هكذا متحرراً من الخطيئة لان المسيح يكون فيه ويعيش معه في كلّ مراحل حياته إذا استسلم لإرادة الله القدّوسة. وبعيشه على مثال المسيح يتهيأ الانسان للمسكن الجديد وللارض الجديدة التي هيأها الله له، حيث يسود العدل وتحقق الغبطة كلّ رغبات الانسان في السلام التي خطرت على قلبه. وكلام الانجيل المقدّس هو الذي يحدّد دوماً حياة الانسان الساقطة وثقافته ويحارب الأباطيل ويبعد

٤. المرجع نفسه، ١٤.

الأضاليل والشُرور الناشئة عن اغراء الخطيئة المستمرّ. "فليس السلام امرًا يحصل عليه الانسان مرّة واحدة، إنّما عليه ان يبنيه باستمرار؛ كما ان توفير السلام يطلب من كلّ فرد ان يراقب دائماً أهواءه ويطلب ايضاً سهر السلطة الشرعية لأن الارادة البشريّة سريعة العطب وجريحة من جرّاء الخطيئة"^٥. ولكي نحصل على هذا السلام علينا ان نميت الانسان العتيق لنستطيع بلوغ جدّة الحياة، وذلك يتحقّق في الاشخاص اولاّ ثمّ في خيور هذا العالم المتنوعة والمطبوعة بطابع خطيئة الانسان وبركة الله. فما من احد يعتق من الخطيئة بنفسه وبقواه الذاتية، ولا يتحرّر تحرّراً كاملاً من ضعفه أو عزلته أو استعباده إلاّ بالمسيح يسوع المثال والمعلّم والمحرّر والمخلص والحيي. والانسان، بعد ان يترك الخطيئة بمساعدة المسيح وبمساندة النعمة، يلج في سرّ محبة الله الذي يدعوه الى علاقات شخصيّة معه. وهكذا يسير المرتد الجديد، بفعل نعمة الله، في سبيل روحي ينتقل فيه من الانسان العتيق الى الانسان الجديد الكامل في المسيح إذ إنه قد اشترك بالايمان في سرّ موت المسيح وقيامته^٦.

ان السيّد المسيح، بمحبّته الفائقة، قدّم ذاته طوعاً الى الآلام والموت بسبب خطايا جميع البشر لكي يحصلوا جميعهم

٥. المرجع نفسه، ٧٨.

٦. دستور مجمعي في نشاط الكنيسة الارشالي، ١٣.

على الخلاص، وهذا ما بشرت وتبشّر به الكنيسة على مرّ العصور. لذلك تدعو هؤلاء البشر، من مختلف الديانات، الى التجاوب مع دعوتها الى الخلاص، والى حلّ الغاز القلب الانساني الذي يهتزّ في الصميم من مجرد معرفته بما قام به المسيح من أجله ليعتقه من الخطيئة. وهكذا ينضمّ الى الكنيسة انضماماً كاملاً جميع الذين هم بصورة ما من شعب الله. وهذا الشعب، وان استمرّ في صحته الأرضية معرّضاً في اعضائه للخطيئة، فانه ينمو في المسيح ويقوده الله برفق حسب احكامه الخفية الى ان يصل فرحاً الى السماء بملء مجد الابدي بكامله^٧. فالسيد المسيح، ابن الله الحيّ، لم يأت~ إلاّ ليخلص جميع شعوب الارض من خطاياهم ويقدّس كلّ الناس. وكما ارسله الآب، هكذا ارسل رسله. لقد قدّسهم إذ اعطاهم الروح القدس، كي يمجدوا الآب بدورهم على الأرض وكي يعملوا على خلاص البشر "في سبيل بنیان جسد المسيح"^٨، أي الكنيسة. فانطلاقاً من ذلك تذكر الكنيسة شعوب الأرض بدعوة المسيح الى الانعتاق من الخطيئة، والى العيش بنعمة الله المحرّرة، لأنّه (أي المسيح) روح الحياة، وينبوع الماء المتدفّق للحياة الأبدية^٩، الذي به يحيي الآب الذين أماتتهم الخطيئة الى ان يقيم في المسيح

٧. قرار مجمعي في الحركة المسكونية، ٣.

٨. أفسس، ١٢: ٤.

٩. يوحنا، ٤: ١٤ ٣٨: ٣٩.

أجسادهم المائة^{١٠}. وبينما المسيح هو قدّوس وزكّي ولا عيب فيه، ولم يعرف الخطيئة، بل هو آتٍ ليكفّر فقط عن خطايا الشعب، فإن الكنيسة تضمّ في حضنها الخطاة وذلك لأنها قدّوسة وعليها ان تتطهر دوماً جادّة باستمرار الى التوبة والتجدّد^{١١}. واما اولئك الذين يتقدّمون من سرّ التوبة فهم يتقبّلون من رحمة الله غفراناً عن الاساءة التي أحقّوها به، ويتصالحون، في الوقت عينه، مع الكنيسة التي جرحوها بخطيئتهم والتي تدأب على توبتهم بالحبّة، والمثل، والصلاة^{١٢}. فالمسيح، الذي أطاع حتى الموت ولهذا رفعه الآب، دخل في مجد ملكوته، وإليه أخضع كلّ شيء الى ان يخضع هو نفسه الى ابيه مع الخليقة كلها ليكون الله كلاً في الكلّ، مسلماً هذه السلطة الى تلاميذه لينعموا هم ايضاً بالحرية الملكية، ولكي يستأصلوا سلطان الخطيئة منهم بالكفر بالذات وبقداسة الحياة^{١٣}. وهكذا يعي العقل الحقائق الابدية دون ان يتوقّف على الظواهر فقط إذ إنه قادر ان يبلغ، بكلّ تأكيد، الى الواقع الممكن فهمه، بالرغم ممّا ترك الخطيئة فيه من ظلام وضعف.

١٠. كورنتوس، ١٠: ٨-١١.

١١. دستور عقائدي في الكنيسة، ٨.

١٢. المرجع نفسه، ١١.

١٣. المرجع نفسه، ٣٦.

من جهة اخرى، فان التداخل بين المدينة الارضية والمدينة السماوية لا يُدرك إلا بعين الايمان. أضف الى ذلك أنه يظل سرّاً من اسرار تاريخ الانسان الذي تبلبله الخطيئة حتى يتجلّى تماماً مجد أبناء الله. وهكذا فالمسيحيون يؤمنون بان هذا العالم تأسس ولا يزال قائماً بفضل حب الخالق. لقد سقط العالم تحت عبودية الخطيئة، غير ان المسيح كسر، بصليبه وقيامته، شوكة الشرير وحرّر هذا العالم ليتحوّل وفقاً لتصميم الله فيبلغ الى الكمال. والرب نفسه أتى ليعيد الى الانسان الحرية والقوّة ويجدّده من الداخل، ويطرح خارجاً "أركون هذا العالم" ١٤ الذي كان يستعبده بالخطيئة. وهو الحمل البريء الذي استحق لنا الحياة بدمه الذي اراقه بملء الحرية، وبواسطته صالحنا الله مع ذاته ومع بعضنا إذ انتزعنا من عبودية الشيطان والخطيئة ١٥. ولقد بشر الانجيل بحرية أبناء الله وأعلنها، رافضاً كل استعباد، لأن الاستعباد، بعد البحث والتدقيق، يأتي من الخطيئة. ويحترّم هذا الانجيل احتراماً دقيقاً كرامة الضمير والاختيار الحرّ، ويعلم باستمرار استثمار كلّ المؤهلات البشرية لخدمة الله وخير الناس، مستودعاً كلّ فردٍ محبة الآخرين ١٦. غير ان الضمير غالباً ما يضلّ نتيجة جهل لا يغلب، دون ان يخسر كرامته. لكن

١٤. يوحنا، ١٢: ٣٦.

١٥. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٢٢

١٦. المرجع نفسه، ٤١.

النعمة الالهية تسهر عليه لتوجهه رغم السقطات التي هي نتيجة الخطيئة التي اصبحت لديه كعادة. لذلك على الانسان ان يلتجئ الى الله ليحرره دائماً من عادة الخطيئة، وليتخطى، بسمو النعمة، معابر الحياة المظلمة التي تقف حاجزاً في طريقه الى الله والى الكمال. ولا يتم الانتصار على الخطيئة إلا في القداسة. لهذا تدعو الكنيسة أبناءها الى التجرد عن حطام هذه الدنيا والتعلق باهداب الايمان المقوي.

نستنتج من كل ما تقدّم ان الانسان، في هذه الدنيا، هو في صراع دائم مع الشيطان والخطيئة. إنه يسعى الى التحرر من عبودية الجسد لتبقى نفسه في وصال مع الله، على مثال المعلم الالهي الذي انتصر على الموت والخطيئة بموته عن العالم وعن مباهجه. والحقيقة انه لا انتصار إلا بالاقبال على نعمة المسيح الفادي الذي نزل الى الارض متجسداً ليعيد الانسان الى براءة الفردوس بعد التضحية بالذات وبكل متطلبات العالم. والعذراء مريم هي الشفاعة الدائمة كما يدعوها الجمع، لأنها أم الله وأم الانسان على طريق الخلاص الأبدي.

الفصل الخامس

الانسان والألم

انطلاقاً من البعد الخلاصي الذي تكلم عنه الجمع الفاتيكاني الثاني في كل قراراته ودساتيره، تناول موضوع الألم بكل أبعاده لأنّه يطال الانسان بالعمق، وبالتالي هو ملازم للوجود البشري منذ سقطة آدم في الفردوس وتأكيد الله على أنّه سيأكل خبزه بعرق جبينه وبأنّ حواء تحمل بالآلام وتلد بالآلام. والسيد المسيح، لكي يفدي البشر، لم يختار إلاّ طريق الآلام والصلب ليعطي الانسان المثل في هذا المجال. من هنا فإنّ أول أمر يؤكّده الجمع هو عمل خلاص السيد المسيح بالآلام، ويقول: "فعمل خلاص البشر هذا ومجد الله الأعظم الذي مهّدت له الأعمال الالهية العظيمة في شعب العهد القديم أمّته المسيح الربّ ولا سيّما في سرّ فصح آلامه السعيدة وقيامته من بين الأموات وصعوده الجيد، سرّ فصحي به "حطّم الموت بموته، وجدّد الحياة بقيامته"^١. فالجمع يذكرنا بأنّ آلامنا هي خلاصية لأنها على مثال آلام المسيح التي تحمّلها فداءً عنا. وعندما نتذكّر في كلّ أسبوع، في اليوم الذي ندعوه "يوم الربّ"، قيامة الربّ،

١. دستور عقائدي في الليتورجيا المقدسة، ٥.

فإننا، في الوقت نفسه، نحتفل بآلامه السعيدة لأنها المدخل الى القيامة النهائية المجيدة. وهكذا بالرجاء سار الرسل جميعهم الذين كملوا، بضيقاتهم وآلامهم الكثيرة، ما ينقص من آلام المسيح لأجل جسده الذي هو الكنيسة، فكان دمّ المسّيحيين بمثابة زرع في أغلب الأحيان. هذا الزرع هو الذي نبت على أقدام الصليب ومنه استمدّ الانسان مسيرته الخلاصيّة بأنّ قدّس آلامه بدمّ المسيح الفادي. وهو على مثال المسيح الذي "محبّته الفائقة قدّم ذاته طوعاً الى الآلام والموت بسبب خطايا جميع الناس لكي يحصلوا جميعهم على الخلاص، وهذا ما تمسّكت به الكنيسة ولا تزال. ويعود للكنيسة الكارزة ان تبشّر بصليب المسيح كعلامة لحبّ الله الشامل وكنيوع لكلّ نعمة"^٢.

فالكنيسة تعمل من خلال الليتورجيا والأسرار، عند المؤمنين الحسنيّ النية، على أن تقدّس كلّ أحداث الحياة بالنعمة الالهية التي تنبع من السرّ الفصحّي لآلام المسيح وموته وقيامته، لأنّ منه تستمدّ كلّ الأسرار وأشباه الأسرار قوتها. وما من استعمال شريف واحد للأشياء الماديّة تقريباً إلا ويمكن توجيهه نحو هذه الغاية: لتقدّيس الانسان وتمجيد الله. من هنا كان دور الألم في حياة الانسان، ودوره الخلاصي الذي يتفاعل، من خلاله، مع آلام المسيح. فالألم،

٢. بيان في علاقة الكنيسة بالاديان غير المسيحية، ٤.

كما يعلم الجميع، هو القوّة التي يجدها الانسان في غربة هذه الحياة، وهو السند الدائم للمسيرة التي بواسطتها نعود الى حضن الآب السماوي الذي أفرز كلّ شيء لخلاص الانسان ولعودته الى براءة الفردوس. وبهذا المعنى يقول المجمع: "في غربة هذه الحياة... يجد المؤمنون قوّة في الرجاء بين مصاعب هذه الحياة ويقدرّون "أن آلام هذا الدهر لا تُقاس بالمجد المزمع ان يتجلّى فينا" (رومية، ٨: ١٨)٣. فالمد الذي أعدّه الله للذين أحبّوه وعملوا بوصاياه وساروا في الطريق التي رسمها لهم لكي يكونوا من أبناء الملكوت، هو مجد البنوّة والأخوّة على حدّ سواء. هو مجد البنوّة للآب السماوي من خلال أخوتنا مع المسيح ابنه الأزلي، وهو أيضاً مجد الأخوّة أيضاً من خلال المسيح الذي جعلنا أخوة له عندما أخذ جسد طبيعتنا البشريّة وولد من عذراء وشاركنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة. وهنا يكمن سرّ الآلام الخلاصيّة التي عاشها المسيح وافتدانا من خلالها، والتي تنادي بها الكنيسة كطريق للخلاص، خصوصاً عندما نقوم بأعمال الرحمة نحو قريتنا المعذب والذي يطلب التعامل معنا لتلطيف آلامه. "فالكنيسة تقدّم الرحمة تجاه الفقراء والمرضى حقّ قدرها، وكذلك ما يدعى بالأعمال الخيريّة وأعمال التعاون المتبادل لتلطيف آلام البشر على أنواعها"٤. كما أنّ الكنيسة تشدّد، بنوع خاص،

٣. قرار مجمعي في رسالة العلمانيين، ٤.

٤. المرجع نفسه، ٨.

على دورها تجاه أخوتنا المتألمين والمعذبين لكي نكون بقربهم في مسيرة الحياة، واقفين الى جانبهم كما يقف المسيح هو بدوره ويريدنا أن نساعدته في تلطيف آلامهم أيضاً. وبهذا المعنى يقول أيضاً المجمع: "وأينما وُجد أناس يُعذبون الأكل والشرب والكساء والمسكن أو يتألمون من نقص الدواء والعمل والتعليم ووسائل الحياة الانسانية الحق، أو يعذبون من جرّاء المحن والأمراض، أو يتحملون النفي أو السجن. فهناك يجب أن تبحث عنهم المحبة المسيحية وأن تجدهم وأن تعزيهم بعناية نشيطة وأن تفرّج عنهم بالمساعدات التي تقدّمها لهم"^٥. فالحبة هي الركيزة الأولى في مسيحيتنا وعليها يقوم كلّ شيء. ومن خلالها يتحمّل الانسان آلامه ومصائبه في هذه الدنيا، كما أنّه من خلالها يعطف على أخيه الانسان ويؤاسيه ويساعده في ملّماته والصعاب، ويخفّف عنه آلام الدهر الملازمة لوجودنا الأرضي. وعلى ذلك يبني الجوهر المشعّ من صليب المسيح الذي نحمله في جسدنا وفي قلبنا وعقلنا لكي نكون على مثاله أداة فداء للبشرية جمعاء. وعلى هذا الأساس يتوجّه المجمع الى العلمانيين في الكنيسة قائلاً: "على العلمانيين ان يقدّروا أعمال المحبة ومبادرات المساعدة الاجتماعية وان يساندوها حسب مقدورهم، خاصّةً كانت أم عامّة، وكذلك المساعدات الدولية، تلك التي تكفل للأفراد والشعوب المحتاجة عوناً فعّالاً، متضامنين في ذلك مع جميع

٥. المرجع نفسه، ٨.

الناس ذوي الارادة الحسنة"^٦. ويزيد المجمع قائلاً:
 "...بمحبتهم (العلمانيين) الأخوية التي تجعلهم يشاركون
 اخوتهم في أوضاع حياتهم وعملهم، في آلامهم ورغباتهم
 يهيئون قلوبهم من حيث لا يشعرون لعمل نعمة الخلاص"^٧.

إنّ تهيئة القلوب لعمل نعمة الخلاص لا تقوم إلاّ على
 ادراك المسؤولية بوعي أمام متطلبات الحياة النضالية في سبيل
 تحقيق الغاية الأخيرة من الفداء الالهي. فالآلام المسيح لا تعطي
 دفعها الفعّال إلاّ في آلام البشر لأنها الطريق الى المجد بعد
 تصعيد الجلجلة والموت. وإنّ الموت الحقيقي هو الموت عن
 الخطيئة، تلك الخطيئة التي من أجلها نزل المسيح الى الارض
 وولد من العذراء مريم وعاش حياة البشر كاملة. من هنا فان
 اعمال الخير التي يدعونا إليها المجمع هي أعمال المحبة السامية
 والشهادة الحقيقية على ان المسيح هو ابن الله الفادي
 والمحّب. وهذه الاعمال تطال جميع حقول عمل الانسان، لا
 سيّما منها أعمال التربية والتوجيه الصحيح الى تحمّل
 المسؤولية كاملةً على مثال المسيح. وبهذا المعنى يقول المجمع:
 "لما كانت أعمال الخير والرحمة تشهد للحياة المسيحية شهادة
 لا تُجارى فان على التربية الرسولية ان تحمل العلمانيين على
 ممارستها ايضاً لكي يعلم المسيحيون منذ نعومة أظافرهم أن

٦. المرجع نفسه، ٨.

٧. المرجع نفسه، ١٣.

يشاطروا في الآلام وان يساعدوا المحتاجين بينهم بسخاء"^٨. فمشاطرة المسيحيين لبعضهم البعض في الآلام هي التأكيد على الأخوة التي نالوها في المسيح يسوع، وهي الجواب الجوهرى على الذين يطرحون الأسئلة الأكثر إحراجاً وعمقاً تجاه تطوّر العالم الحاضر، ومنها: ما هو الانسان؟ وهل من معنى للشرّ والعذاب والموت التي تبقى مطروحة بالرغم من التقدم المطرد الذي تقدّمه الانسانية؟ إن الجواب هو في الحبة التي تبلسم الآلام وترفع الانسان الى مستوى التضحية الكاملة. فما يؤلم الانسان ويقضّ مضجعه ليس الألم وحده ولا اخطاط جسده تدريجياً، ولكن بالأحرى الخوف من فناء نهائي. وعندما يتلاشى العضد الالهى والرجاء في الحياة الأبدية، تتجرّح كرامة الانسان جرحاً بليغاً كما نراه غالباً في أيامنا. كما أن لغز الحياة والموت والخطيئة والألم يبقى دون حلّ: وهكذا غالباً ما يهوى البشر في وهدة القنوط. ولكن المجمع يذكر بوضوح كامل قائلاً: "بواسطة المسيح وفيه يتضح وينحلّ لغز الألم والموت، ذلك اللغز الذي ليسحقنا إن نظرنا إليه بمعزل عن انجيل المسيح"^٩. فالمسيح وحده هو الذي يعطي المعنى الايجابى لهذا الألم الذي يجاري حياتنا اليومية، والذي يلازم مسيرتنا الخلاصية.

٨. المرجع نفسه، ٣٦.

٩. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٢٢.

وكما تألم ومات هو، كذلك نحن على مثاله علينا أن نتألم ونتعذب لكي نفدي ذواتنا ونفدي الآخرين.

هذا هو المعنى الايجابي للألم الذي شدّد عليه المجمع الفاتيكاني الثاني. فالألم هو طريق المجد بعد تصعيد الجلجلة التي منها أشرق نور الصليب على العالم، ضامًا بين ذراعيه الكون كلّ، وناشرًا سلامه على البشرية جمعاء التي سعت طوال تاريخها الى لقاء الذي بشر به الأنبياء مسيحًا مخلصًا للشعوب كافة وللأمم حتى التي لم تسمع به ولم يخطر على بالها أنها ستكون في قبضة حبه اللامتناهي والازلي والأبدي. فالبشر كانوا ينتظرون من مختلف الديانات جوابا على الألغاز الخفية، ألغاز الوضع الانساني، التي تهزّ قلوب الناس في الصميم: ما الانسان، ما معنى حياتنا وغايتها، وما الخير وما الخطيئة، ما مصدر الآلام وما غايتها وما السبيل للحصول على السعادة الحقيقية، ما الموت وما هو أخيرا ذلك السرّ النهائي الذي لا يوصف والذي يلفّ وجودنا الذي عنه صدرنا وإليه نتجه؟ كلّ هذه التساؤلات جاوبنا عليها المسيح بأن تألم لأجلنا وأعطانا المثل لنسير على خطاه، شاقا لنا طريقا جديدة إذا تبعناها تتقدّس الحياة، ويتقدّس الموت فيكتسبان معنىً جديداً: فالمسيح الذي قدّسه الآب وأرسله الى العالم بذل نفسه لأجلنا ليفتدينا من كلّ اثم ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً على الأعمال الصالحة.

وهكذا دخل في مجده بعد ان تحمّل الآلام وانتصر على الموت والخطيئة لنتصر نحن بدورنا عليهما.

إنّ المسيح، بمحبّته الفائقة، قدّم ذاته طوعاً الى الآلام والموت بسبب خطايا جميع الناس لكي يحصلوا جميعهم على الخلاص. وعلى مثال المسيح على الانسان ان يتحمّل الآلام والموت طوعاً بسبب خطياه اولاً، وبسبب خطايا البشرية جمعاء التي عليه ان يكفّر عنها، وهو الذي التزم بالمسيرة الخلاصيّة التي اراده الله لها. فعمل الخلاص هذا، الذي يقوم به الانسان الملتزم، هو سرّ فصحي، به حطّم المسيح الموت بموته، وبه جدّد الحياة بقيامته. وعلى مثال المعلم فان الانسان يجدّد الحياة، ويجدّد الكنيسة التي هو ابنها، بآلامه وموته، ويكمل في جسده ما نقص من آلام المسيح، كما يقول القديس بولس. فجسده هو جسد المسيح، ومن خلاله يكون الضحيّة والفدية للعالم أجمع. وبهذا المعنى يقول المجمع: "بما ان هذه الرسالة تكمل وتظهر بوضوح عبر التاريخ رسالة المسيح نفسه الذي أرسل ليبشر المساكين، على الكنيسة ان تسير بالهام من الروح القدس، كما سار المسيح بالذات على الطريق نفسها، طريق الفقر والطاعة والخدمة وبذل الذات حتى الموت الذي خرج منه منتصراً بالقيامة. وهكذا بالرجاء سار الرسل جميعهم الذين كملوا بضيقاتهم وآلامهم الكثيرة

ما ينقص من آلام المسيح لأجل جسده الذي هو الكنيسة" ١٠.

الكنيسة هي سرّ المسيح على الأرض. هي امتداده اللامتناهي في مسيرة القداسة التي لا تكلّل إلاّ بالآلام. هي البعد الحقيقي لسرّ الخلاص. والانسان فيها هو الترجمة الفعلية لهذا السرّ بتحملة الآلام وبالفداء الذاتي والفداء الجماعي. من هنا ارتباط الكنيسة بالعالم أجمع من خلال أبنائها الذين يحملون بشارة المسيح. وبهذا المعنى يقول المجمع: "كما ان المسيح كان يجول كلّ المدن والقرى شافياً كلّ سقم ومرض دلالة على مجيء ملكوت الله، كذلك ترتبط الكنيسة من خلال أبنائها بكلّ البشر من أيّ وضع كانوا، لا سيّما بالفقراء والمعذبين، وتبذل، بكل سرور، من أجلهم. إنها تشترك في أفراحهم وآلامهم، وتعلم أمانى حياتهم ومشاكلها وتتألم معهم في ضيقات الموت. وإنها تتمنى أن تحيى الباحثين عن السلام بحوار أخوي فتقدم لهم السلام والنور النابعين من الانجيل" ١١. إذن، وبهذه المشاركة لجميع البشر في آلامهم وأفراحهم وأمانيتهم وحياتهم اليومية تبرهن الكنيسة على المعنى المقدّس لكلّ شيء في حياة الانسان، ولا سيّما في الآلام. فلم تعد الآلام أمراً منبوذاً وشريراً، بل هي

١٠. قرار مجمعي في نشاط الكنيسة الارشادي، ٥.

١١. المرجع نفسه، ١٢.

الطريق الى القداسة، والى رفع الذات الى مستوى الألوهة. إنها السرّ الذي من خلاله يدخل الانسان الى ذاته ويتخطّاها الى الأكمل والأفضل. إنها الآلام الخلاصية التي تنشر ملكوت الله في كلّ مكان كما يقول آباء المجمع: "إن آباء المجمع، بالاتحاد مع الحبر الروماني، إذ يشعرون شعوراً عميقاً بواجب نشر ملكوت الله في كلّ مكان، يخيّون بمحبّة بالغة كل الكارزين بالانجيل، لا سيّما أولئك الذين يتحمّلون الاضطهاد من أجل اسم المسيح ويقاسمونهم الآلام"^{١٢}.

إن تقاسم الآلام مع البشريّة جمعاء هو التأكيد الواضح على أن المسيحي الحقيقي هو الذي يتحمّل مسؤوليّة كلّ الناس مع المسيح وكنيسته. وبكلام آخر، إن هذا المسيحي يعتبر نفسه المسؤول الأوّل عن خلاص البشريّة، الأمر الذي يدفعه لتحمل صليبه كلّ يوم ليفدي الآخرين. إنّ الانسان الذي ارتفع على الصليب مع المسيح وضمّ الى قلبه كلّ مخلوق في هذا الكون، لا سيّما الذين يفتشون عن الخلاص في حياتهم اليوميّة. إنّ الانسان الذي ارتفع فوق معطيات الطبيعة البشريّة ليتألّه ويؤلّه معه الذين آمنوا بالمسيح وببشارته وبتعاليمه وتوجيهاته. إنّ الانسان الذي يدعو، مع الكنيسة، ومن خلالها، الى الحرية الكاملة والى الحفاظ على كرامة كلّ فرد. وبهذا المعنى يقول المجمع أيضاً: "إنه ما من

١٢. المرجع نفسه، ٤٢.

شريعة انسانية تستطيع ان تحافظ على كرامة شخصية الانسان وحرية مثلما يحافظ عليهما إنجيل المسيح الذي سلّم الى الكنيسة. فهذا الانجيل يبشر بحرية أبناء الله ويعلنها ويرفض كل استعباد لأن الاستعباد بعد البحث والتدقيق يأتي من الخطيئة. ويحترم هذا الانجيل احتراماً دقيقاً كرامة الضمير والاختيار الحرّ ويعلم باستمرار استثمار المؤهلات البشرية لخدمة الله ولخير الناس مستودعاً كلّ فرد محبة الآخرين^{١٣}.

الخطيئة استعبدت الانسان، والآلام حرّرتّه من هذا الاستعباد. وهذه الآلام جعلها السيد المسيح الوسيلة الاولى للتحرّر من هذا الاستعباد. فالمشكلة، منذ البداية، كانت مشكلة هذا التحرّر. ولكي يغلب المسيح الآلام الناتجة عن الخطيئة احتمل الآلام الخلاصيّة لينتصر على هذه الخطيئة. وهكذا الانسان، فانه يتحرّر بالآلام التي اعطاه آياها المسيح مثلاً للتعالي على موت الارض بعد رفض ارادة الله في الفردوس. لذلك التصقت بوجوده فاستفاد منها ليتحرّر نهائياً وينتصر عليها وعلى الموت، على حدّ سواء. وبهذا الانتصار يتمثّل بالسيد المسيح: "الذي أتى ليخلص شعبه من خطاياهم ويقدّس كلّ الناس. وكما أرسله الآب، هكذا أرسل رسله. لقد قدّسهم إذ أعطاهم الروح القدس، كي يمجّدوا الآب بدورهم على الأرض وكي يعملوا على خلاص

١٣. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٤١.

البشر في سبيل بنیان جسد المسيح، أي الكنيسة" ١٤. فالآلام التي فيها يصبح الانسان شبيهاً لمعلمه الذي قبل الموت بكل حرية لأجل خلاص العالم تعتبرها الكنيسة عطية سامية وامتحاناً للمحبة المطلقة، وذلك لأنها تكون مقبولة بسمو الايمان وبفائق العطاء الذاتي. إنه الطريق الحقيقي لمحاربة قوى الظلام التي رافقت وترافق الانسان منذ فجر التاريخ. وبهذا المعنى يقول المجمع: "إن صراعاً عنيفاً ضد قوى الظلام يرافق تاريخ البشر كله، ولقد بدأ هذا الصراع منذ البدء، وسيظل حسب قول الرب حتى اليوم الأخير. وبما أن الانسان دخل المعركة عليه أن يحارب دون هوادة ليتمسك بالخير ولا يتوصل الى تحقيق وحدة ذاته الداخلية إلا بعد جهود كبيرة وبمساندة النعمة الالهية" ١٥.

هذا الصراع لا انتصار عليه إلا بوحي الضمير وبالاتمرار في الانتصار على الخطيئة. لذلك ينبّه المجمع الى الجهل الذي يضل هذا الضمير بقوله: "ولكن غالباً ما يضل الضمير نتيجة جهل لا يغلب، دون ان يخسر كرامته. وهذا ما لا نستطيع أن نقوله عندما لا يأبه الانسان إلا قليلاً للبحث عن الحق والخير عندما يدب العمى رويداً رويداً في

١٤. قرار مجمعي في مهمة الاساقفة الراعوية في الكنيسة، ١.

١٥. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٣٧.

ضميره نتيجة الخطيئة التي أصبحت لديه كعادة"١٦. فالخطيئة هي سبب كلّ ما يعكّر حياتنا البشريّة، غير أن الآلام التي تنتج عنها تكون خلاصيّة إذا تقبلناها كما تقبلها المسيح وجعل منها أداة تطهير بدل أن تكون أداة هلاك. لذلك على الانسان الوعي الدائم للاستفادة من هذه الآلام طوال حياته، وعليه توجيهها الى المعنى الذي أعطاها إيّاه الصليب، صليب يسوع المخلص. والمسيح بدوره يكون حاضراً لمساعدة هذا الانسان إذا استسلم للتدبير الالهي الذي اراده منذ الأزل، والذي قبل به الاقنوم الثاني لفداء العالم.

وباختصار، فإن الألم، بعد أن كرّسه المسيح طريق خلاص، توجّب على الانسان أن يتحمّله طوال حياته إذا أراد أن يخلص. فالخلاص لا يأتي إلّا عن طريقه، كما أن المجد لا يأتي إلّا عن طريق الجلجلة. والسيد المسيح علّمنا أن هذه الطريق هي الوحيدة للعودة الى البيت الأبوي بعد سقطة آدم في الفردوس. والمعنى اللاهوتي له يقوم على أنّه السرّ الخلاصيّ لجسد المسيح السريّ الذي يجمع المؤمنين في كنيسة التي هي امتداد له في الزمن. وهو، بصفته الطريق التي تؤدّي الى المجد، قدّسه المسيح، وجعله ملازماً لخلاصنا إذ يمنحنا القوّة والبراس في الايمان وفي الرجاء وفي المحبة. إنّ سرّ الأسرار الذي لا نفهمه إلّا بالايمان ولا نتحمّله إلّا بالرجاء

١٦. المرجع نفسه، ١٦.

ولا نفيد منه إلا بالحبّة. فهو يختصر وجودنا المؤمن إذ نقبل هذا الوجود من خلاله ونكرسه لله كما نكرس ذواتنا في البعد المطلق للعناق مع السرمدي والأزلي الذي أوجدنا. إنّه المسيرة الفدائيّة الذي تشدّد عليه الكنيسة، والذي نظر اليه اجمع كطريق خلاص في خضمّ صعوبات الحياة اليوميّة. وليس غريباً عن المسيحي أن يكون رجل الآلام على مثال المسيح إذ أنّه ولد بالآلام ويعيش بالآلام ويموت بالآلام. ولكنه لا يتوقّف عليها وحسب، بل من خلالها ينظر الى المسيح المنتصر عليها ويتمثّل به في تصعيد الجبل المقدّس، جبل الجلجلة، لينتقل بعدئذٍ الى مجد القيامة الذي هو الغاية الاخيرة في التدبير الالهي. والله، يجعل هذه الآلام الوسيلة للخلاص، يقدّس كلّ شيء في هذه الدنيا ويجعله ملكاً لله دون منازع. وعلى غرار المسيح يكون الانسان فادياً لنفسه وللآخرين لأنّه يكمل في جسده ما نقص من آلام المعلّم كما يقول القديس بولس. لذلك يبقى الألم، الذي يلازم الانسان طوال مسيرته الحياتيّة، العلامة المميّزة بعد ان أصبح الصليب طريق مجدٍ لا طريق لعنة. فاللعنة هي باب الخلاص، والمسيح تحملها ليجعل منها السبيل الوحيد الى المجد الأبدي. فبالألم يتطهّر الانسان ويتقدّس، وبالألم يسمو فوق كلّ نظرة بشريّة محدودة، وبالألم يشارك الله في الخلق الجديد الذي هو خلق الحبّة السامية في التضحية بالذات من أجل

الغير. وهكذا يسمو الانسان ويشابه الله متمثلاً به عندما
يقبل بهذا الألم في سبيل خير البشرية جمعاء.

الفصل السادس

الانسان والتوبة

القداسة التي دعانا إليها الله لا تتحقق فعلاً إلا إذا سبقتها توبة نصوح وارتداد الى الذات والى تعاليم الانجيل المقدس التي شدد عليها المسيح في كل كلمة نطق بها من أجل خير الانسان ومن أجل خلاصه. إنها فعل إيمان مستمر بالله تعالى، أكثر منها ندامة على الخطيئة التي يرتكبها كل واحد منا طوال حياته، وذلك لأن الخطيئة هي شيء عرضي في حياتنا، بينما فعل الايمان بالله هو جوهر العلاقة بيننا وبين من خلقنا. وبصفتنا أصبحنا مخلصين بفداء المسيح لنا، فان حياتنا كلها له. والتوبة هي التأكيد لله كل يوم على أننا خاصته ولسنا ملكاً للشيطان أو للعالم، لأن الخيار الوحيد لمن عُمِد ونال نعمة المصالحة هو خيار الكفران بملذات الدنيا والاعلان مجاهرة على أننا أصبحنا أبناء السماء ولسنا أبناء الأرض. لذلك يشدد المجتمع على الكهنة في كلامه عن التوبة قائلاً: "يَعْلَمُ الكهنة المؤمنون أن يقدموا الذبيح الالهية لله الآب في ذبيحة القداس وان يقدموا معه حياتهم ويدربونهم بروح المسيح الراعي على أن يضعوا خطاياهم، بقلبٍ منسحق، تحت سلطان سرّ التوبة، لكي يتوبوا، أكثر فأكثر،

ويومًا بعد يوم، الى الربّ، متذكّرين كلامه، توبوا فقد اقترب ملكوت السموات"١.

فالتوبة، في نظر المجمع المسكوني، لها طبيعة خاصّة إذ إنها تمثّل الخطيئة لأنها إهانة لله. وبهذا المعنى يقول: "في ما يتعلّق بالتعليم المسيحي، فليرسّخ في اذهان المؤمنين في آن واحد ما للخطيئة من نتائج اجتماعية، وما للتوبة من طبيعة خاصة تمثّل الخطيئة لأنها إهانة لله. ويجب ان ينقل دور الكنيسة في التوبة، كما يجب الالحاح على الصلاة من اجل الخطاة"٢. ففي التوبة نعتقد من العالم لأن هذا العالم نفسه، إذا جرّدناه من المسيح ومن نور المسيح، يبدو لنا مظلمًا، ويحدّ من نشاطنا الخلاصي الذي هو طريقنا الى قلب الله. فالاشياء التي تبدو لنا مغرية، تصبح، من خلال توبتنا، ملموسة عن طريق المسيح الذي يدركنا ويمسّنا من خلالها ايضًا. وان التجاذب بين هذه الاشياء المغرية وبين الله يجعلنا نقرّ بان هناك للكون إلهين، إله الوحي وإله العقل. أمّا في توبتنا الى الله فان إله الوحي وحده هو الذي يكلّل نجاحاتنا البشرية ويجعلنا نعيش شفافية الرؤيا التي نسعى إليها من خلال تطهير ذاتنا كلّ دقيقة وكلّ لحظة. لذلك يزيد المجمع قائلاً: "ولتعزيز ممارسة التوبة حسب إمكانيات عصرنا الراهن

١. قرار مجعبي في حياة الكهنة وخدمتهم الراعية، ٥.

٢. دستور عقائدي في الليتورجيا المقدسة، ١٠٩.

وتنوّع المناطق وأوضاع المؤمنين، ولتوص بها السلطات التي تكلمت عليها"^٣. وأمّا هذه السلطات فهي سلطات الكهنوت المقدّس التي تغفر الخطايا وتساعد على التوبة الكاملة في الممارسة اليومية وفي الحياة العادية التي يعيشها المؤمنون. من هنا تأكيد المجمع على ذلك بقوله: "ولكي يجمع المؤمنين في جسدٍ واحد" ليست فيه لجميع الاعضاء الوظيفة ذاتها" (رومية، ١٢: ٤) اقام السيد نفسه فيهم خداماً يتمتعون في جماعة المؤمنين بسلطات الكهنوت المقدّس لاقامة الذبيحة ولغفران الخطايا وليمارسوا علناً باسم المسيح واجبههم الكهنوتي في خدمة البشر"^٤.

في التوبة إذن نقرّ ايضاً بان رحمة الله ليست للغفران وحسب، بل هي، بنوع خاص، تجديّد فعلي لسرّ الخلق الذي يتمّ في قلبنا من خلال ولادة الله مجدّداً كلّ مرّة نهىء له هيكل هذا القلب الذي يبقى قلقاً الى أن يعود إليه كما يقول القديس أغوستينوس. فحقيقة التوبة هي الالتزام الكامل بعدم الوقوع في الخطيئة، وهذا يعني ان التوبة، لاهوتياً، هي تجديد فعل الحبّ بيننا وبين الله بطريقة دائمة ومستمرّة. كذلك إن العالم المادي، المتعلّق بالانسان، لا يتوحّد إلّا بالتوبة لأن الخطيئة كثرة والتوبة وحدة. فالمخلوقات جميعها،

٣. المرجع نفسه، ١١٠.

٤. قرار مجمعي في حياة الكهنة وخدمتهم الراعوية، ٢.

وبنوع خاص المخلوقات الطبيعيّة، وحتى الكون بكامله، لا يكون منتظماً إلّا من خلال توبتنا الدائمة الى الله. وذلك لأنّ التوبة هي اعتناق من هذه الكثرة التي تجعلنا غير متوازنين، وتجعل الكون معنا غير متوازن. بينما إذا كانت توبتنا باتجاه الله الواحد الأحد، فإن الكون المتعلّق بنا يكون منتظماً وموحّداً، ويقوم بعمله على أكمل وجه. فلا توازن في الكون بدون توبتنا الدائمة، ولا معنى لرسالتنا الانسانيّة المسيحيّة إذا لم تكن الحافز لهذا التوازن. لذلك يقول المجمع: "إن خدام نعمة الاسرار يتحدون بقوة بالمسيح المخلص والراعي بقبولهم الأسرار قبولاً مثمرًا، ولا سيّما بقبول سرّ التوبة بتواتر، ذلك السرّ الذي يهيأ بمحاسبة النفس اليوميّة ويعزّز بقوة الرجوع اللازم الى محبة أبي المراحم"٥. وفي هذه العودة الى الله، ابي المراحم، نعيد معنا العالم الذي سقط في الخطيئة لنوحّده في المسيح، ولكي نكون معه واحداً في حمى مراحم الآب السماوي. من هنا على الكنيسة ان تثقّف المؤمنين وان تسهر عليهم بكل انواع التقوى وباعمال الرحمة التي تقرب من الله وتسعدنا معه في البعد عن الخطيئة. والمجمع إذ يشدّد على هذه النقطة المهمّة يقول: "تكمّل الكنيسة تثقيف المؤمنين في اوقات السنة المتنوّعة وحسب الأنظمة التقليديّة برياضات تقوية روحيّة

٥. المرجع نفسه، ١٨.

وجسدية، بالتعليم والصلاة والتوبة وأعمال الرحمة"^٦. فالتوبة والصلاة واعمال الرحمة هي الباب للدخول في ملكوت الله، وللعيش معه بكل اخلاص وتфан. وهذه جميعها تضعنا في قلب الله انطلاقاً من فعل الحب السامي المعطاء. والتوبة هي هذا الفعل الكامل، والله ينتظر منا ذلك في كل دقيقة لأنه برهان واضح على تجردنا عن العالم وملذاته، وعن كل ما يعيق مسيرتنا نحو بيتنا الأزلي.

من جهة أخرى، فإنّ الجمع يؤكد على الفائدة الكبرى التي تعود بها التوبة علينا، ويوجّه المسؤولين في الكنيسة ليسهرُوا على شعب الله من المؤمنين الذين ينتظرون العون الالهي. وبهذا المعنى يقول: "وليتذكر الكهنة كم لسرّ التوبة من جزيل الفائدة لتعزيز الحياة المسيحية. وعليهم ان يظهروا أنهم قريبو المنال لسماع اعترافات المؤمنين، واذا اقتضى الأمر فليدعوا أيضاً كهنة آخرين يتقنون لغات مختلفة"^٧. فالمهمّة كبيرة بالنسبة الى الكهنة، وعليهم ان يكونوا حاضرين دائماً لخدمة المؤمنين، ولا سيّما لخدمة سرّ التوبة لأنه مفتاح المصالحة مع الله، والعودة الى حضن الآب السماوي. فالله ينتظرنا دائماً كما انتظر الأب ابنه الضال، وهو حاضر ليغفر لنا ولنعود الى بيتنا الذي خلقنا لنكون فيه.

٦. دستور عقائدي في الليتورجيا المقدّسة، ١٠٥.

٧. قرار مجمعي في مهمة الاساقفة الراعوية في الكنيسة، ٣٠.

وان الاستمرار في الخطيئة هو استمرار في البعد عن الله وعن كنيسته التي تحتضننا وتسهر علينا في غربة هذه الدنيا. والانسان التائب هو الانسان الذي تجلّت فيه نعمة الله وعرف ان دنيا الاغتراب هذه هي دنيا زوال، ولا قيمة لها إلا إذا كانت فعل ايمان دائم به تعالى. كذلك فان التوبة تدخلنا في شراكة أمومة الكنيسة وتمهّد لنا السبيل للعيش بتيقّظ لتغذّي بالقوّة لمجابهة الشرّ الذي يحيط بنا في عالم نسي الله ويعيش للملذّات الدنيا وحسب. وبهذا المعنى يقول المجمع: "إن الجماعة الكنسية لتعيش عاطفة الأم الصادقة نحو النفوس التي تريد أن تجذبها الى المسيح بمحبّتها وصلاتها ومثلها وأعمال التوبة. فانها تخلق الوسيلة الفعّالة التي تدلّ الذين لا يؤمنون بعد على الطريق الى المسيح وكنيسته أو تمهّدها، تلك الوسيلة التي توقظ المؤمنين، وتغذّيهم وتقوّيهم للمعركة الروحيّة"^٨. فنحن إذن في معركة روحيّة ضدّ الشيطان الذي يريد ان يبعدنا عن إلهنا ويجعلنا نخسر نفسنا في جهنم. ولتلافي هذا الخسران علينا ان نتوب دائماً إليه تعالى، وان نعلّق باهداب الايمان الذي يرفعنا ويقربنا من الذي خلقنا له أبناء جدداً في المسيح يسوع. كذلك فان صراعنا مع الشرّ هو صراع مستميت لأن عدوّنا الشيطان لا ينام، بل هو كالأسد الذي ينتظر لينقضّ على فريسته ويحطّمها. ونحن بايماننا وبتوبتنا نقدر ان نجبه ونبعده عن طريقنا التي

٨. قرار مجمعي في حياة الكهنة وخدمتهم الراعوية، ٦.

تقودنا الى الحق، أعني الى الله بالذات. من هنا فان التأمل والصلاة هما باب الارتداد الدائم إليه تعالى. وبهذا المعنى يقول المجمع أيضاً: "فلمؤسسات حياة التأمل أكبر أهمية في ارتداد النفوس بواسطة صلواتها وأعمال التوبة وشدائدها لأن الله يرسل الفعلة الى حصاده بناء على الصلاة، ويفتح قلوب غير المسيحيين لسماع الانجيل، ويجعل كلمة الخلاص خصبة في قلوبهم"^٩.

فالصلاة والتأمل هما إذن الوسيلة الفعالة لفحص الضمير الدائم، وللتوبة على جميع الخطايا، وللتطهير منها، ولأخذ المقاصد الصالحة التي تبني الذات وتبني الآخرين. ومن خلاهما ينفتح الانسان على معنى وجوده الفعلي إذ يكشف ان الله حاضر في قلبه وان تربيته الروحية هي السبيل الى خلاصه الأبدي. وبذلك يوصي المجمع: "إن المجمع المقدس يوصي بادئ ذي بدء بالوسائل التقليدية بكل تعاون ألا وهي الصلاة بالحاح والتوبة المسيحية، أضف إليهما تنشئة المؤمنين تنشئة تعمق يوماً بعد يوم"^{١٠}. فالتنشئة على الصلاة والتوبة هي من جوهر الكيان البشري، ومن جوهر وجوده الفعلي، إذ إن الانسان بارتباطه بالله يتوجب عليه العودة الدائمة إليه، والتوبة هي العودة الى النبع الاساسي الذي هو الله.

٩. قرار مجمعي في نشاط الكنيسة الارشادي، ٤٠.

١٠. قرار مجمعي في التنشئة الكهنوتية، ٢.

ففيها يتجرّد الانسان عن ذاته ليصبح ملكاً كلياً لله، وبالتالي ليعطي المثل لكل كائن موجود بأنه ملك لله وليس لذاته أو للكائنات الاخرى. وعليه فالصلاة تعمّق هذه الصلة وتربّي الانسان على الانفتاح الدائم على الله وعلى تعاليمه السماوية الخلاصية التي من أجلها كان وجودنا الارضي الذي يسمو بالتكامل الدائم في الالتزام بالتدبير الالهي الموحى به في الانبياء وفي الاناجيل المقدسة. ولئن كان الوجود فعل ايمان بالله، فهو الى ذلك فعل التزام بالله وتوبة إليه، لأن من جوهر وجود الانسان العودة إليه تعالى في كلّ هنيهة من حياتنا.

من جهة اخرى فان الايام الخلاصية مثل الصوم والليتورجية الفصحية هي أيام توبة وأيام عودة الى الجوهر الفعلي لوجودنا ألا وهو الوجود مع الله. من هنا تشديد المجمع على هذا الزمن الطقسي الذي يساعدنا على توبة كاملة إذ يقول الآباء في ذلك: "إن الطابع المزدوج لزمان الصوم الأربعين، الذي يهيّء المؤمنين للاحتفال بالسرّ الفصحي خاصة بذكرى العمداء أو تهيئته بالتوبة إذ يسمعون بتواتر متزايد كلام الله ويتفرغون للصلاة، يجب أن يتوضّح إن في الليتورجيا وإن في التعليم الطقسي"^{١١}. فزمن الصوم هو زمن العودة الى الذات واللقاء المتجدّد بالروح مع الله،

١١. دستور عقائدي في الليتورجيا المقدسة، ١٠٩.

إذ إن التأمل والصلاة مع الصوم يعطيان فعالية كاملة، ومن ثم يدخلان الانسان في ذاتية الخلاص التي يصبو إليها دائماً. والكنيسة هي التي تعدّ المؤمنين لهذه التوبة بتوجيهاتها المستمرة. وبهذا المعنى يقول المجمع: "أما المؤمنون فعليها ان تبشرهم دوماً بالايمان والتوبة؛ وعلاوة على ذلك عليها ان تعدّهم للأسرار، معلّمة إياهم أن يحفظوا كلّ ما أمرهم به المسيح جاذبة إياهم الى كلّ أعمال المحبة والتقوى والرسالة، ليدلّوا بهذه الاعمال على أن المسيحيين وان لم يكونوا من هذا العالم، فهم مع ذلك نور العالم، ويؤدّون المجد للآب أمام الناس" ١٢. فالمسيحيون، إذن، هم نور العالم بعيثهم ايمانهم وتوبتهم الدائمة، وبالتالي بقيامهم بدور الموجهين في المجتمع الانساني. كلّ ذلك يعود الى هذا الغوص الدائم في حقيقة الله والعودة إليه من خلال الالتزام بعقيدتهم فوق كلّ متطلّبات الحياة اليومية. وهم بذلك ينصهرون في بوتقة التضحية، ويؤكّدون على ان بيت الله الآب هو بيت جميع أبنائه الذين يكفّرون عن خطاياهم بتوبة واعية وكاملة. والله يكافيء الذين يلتزمون هذا الالتزام، ويعيشون هذا العيش المتّرفّع عن كلّ مباحج الدنيا وبهرجاتها. وعندما يتجرّد الانسان بتوبة نصوح، يدخل في عمق أعماق التواصل الروحي، ويرتفع الى مستوى الشهادة الكاملة بأن يصبح الانسان الشاهد والشهيد على حدّ سواء. فهو شاهد لله في

١٢. المرجع نفسه، ٩.

الارض، وهو شهيد لأنه مات عن ملذّات العالم وخزعبلاته. وبما ان الله يريد ان ينشر ملكوته ايضاً بمساعدة علمانيين مؤمنين، أي ملكوت حقيقة وحياة، ملكوت حيث تحرّر الخليقة من عبودية الفساد الى حرية مجد أبناء الله، فان التوبة هي الوسيلة الاولى للبقاء بين يدي الله ولتوطيد العلاقة معه، وخصوصاً مع الآخرين في المجتمع نفسه. والتوبة الحقيقية، عندما تتحقّق، تصبح محبة سامية وتمتدّ الى الجميع دون تمييز في العرق والوضع الاجتماعي أو الديني، وذلك لأن الجميع يصبحون أخوة في المسيح، وأبناء لله الآب. وهذه المحبة، الناتجة عن توبة كاملة، هي الغاية الاساسية التي أرادها المسيح لتلاميذه وللبنية جمعاء. وبهذا المعنى يقول المجمع: "وأعطى تلاميذه وصية جديدة أن يحبّوا بعضهم بعضاً ووعدهم بالروح المعزّي ليظلّ معهم الى الأبد رباً ومحياً. وان الرب يسوع، بعد أن رُفِعَ على الصليب ودخل في مجده، أفاض الروح الذي كان قد وعد به والذي به دعا الى وحدة الايمان والرجاء والمحبة وجمع فيها شعب العهد الجديد، الذي هو الكنيسة على حدّ تعليم الرسل: فانكم جسد واحد وروح واحد كما دعيتم الى رجاء دعوتكم الواحدة. فالرب واحد وايمان واحد ومعمودية واحدة. لأنكم أنتم جملة من اعتمدتم في المسيح قد لبستم المسيح... فما أنتم جميعكم إلا واحد في المسيح يسوع. فالروح القدس الذي يسكن في المؤمنين ويملأ الكنيسة كلّها

ويدبرها، ويحقق تلك الشركة العجيبة بين المؤمنين ويربطهم بالمسيح ربطاً حميماً بحيث أنه يسمي مبدأ وحدة الكنيسة وأنه هو الذي يوزع النعم والخدم ويغني كنيسة يسوع المسيح^{١٣}.

فالروح القدس، عندما نعيش توبة مخلصنة، يقدرنا بالاسرار، ويزيننا بالفضائل، ويوهبنا النعم الضرورية لخلصنا، ويعزز وحدتنا في جسد المسيح السري، ويتحدنا بالآب السماوي، ويفزينا بالافخارستيا التي هي معين الحياة، ويرفعنا الى المجد الأبدي. فيتوجب علينا ان ننمو باستمرار بالتوبة وبالكفارة عن خطايانا لنكون هيكلًا مقدسًا لله. كما أنه علينا أن نمارس التقشف والصوم لتطهير ذواتنا من كل شوائب الخطيئة التي أبعدتنا عن الله وجعلتنا نعيش حياة صراع مستمر من جراء عدم الالتزام بمسيرة الخلاص الالهية. وبهذا المعنى يقول الجمع: "واذ يخضع المؤمنون لأمر المسيح بنعمة الروح القدس ومحبه تتم الكنيسة رسالتها بالعمل الذي يجعلها حاضرة تمام الحضور بين جميع البشر والأمم لتقودهم بمثل حياتها وبالتبشير وبالأسرار وبسائر وسائل النعمة الى الايمان بالمسيح وحرته وسلامه فتفتح هكذا أمامهم طريقاً حرة وثابتة ليشتركوا تمام الاشتراك في سر

١٣. قرار مجمعي في الحركة المسكونية، ٢.

المسيح"١٤. وفي موضع آخر يقول: "وهم في ابتهاهم الى الروح القدس يبحثون عن الله في الكتاب المقدس نفسه كأنه هو الذي يكلمهم بالمسيح الذي بشر به الأنبياء والذي هو كلمة الله المتجسد من أجلنا، وفي الكتاب المقدس يتأملون حياة المسيح والتعاليم والأعمال التي أنجزها المعلم الالهي لخلاص البشر، وخاصة أسرار موته وقيامته"١٥.

من كل ما تقدّم نستنتج ان جوهر العلاقة مع الله يقوم على التوبة. فالتوبة هي طريق العودة الى الله بعد سقطة الفردوس، والتوبة هي المصالحة الفعلية مع ذاتنا ومع الله بعد خطيئتنا الناتجة عن ضعفنا البشري وعن مساوئ حياتنا البشرية، والتوبة هي الركون الى كلام الله في تعاليمه السماوية، والتوبة هي الحضور الواعي لوعي الروح القدس ولتوجيهاته في الكنيسة جمعاء وفي قلوب المؤمنين، والتوبة هي تخطي الواقعي للسير قدماً نحو الهدف الأخير الذي هو الله الذي يكمل جهودنا بعد آلام هذه الدنيا وعذاباتها. فهي تلازم حياتنا اليومية ووجودنا المؤمن، وهي التي تجعلنا نتجرّد عن حطام هذه الدنيا لنكون كلياً لله في مسيرتنا الخلاصية. لذلك شدّد عليها اجمع وعلى مفاعيلها الروحية في حياة الانسان، ولا سيّما المؤمن، لكي تكون الأداة التطهيرية

١٤. قرار مجمعي في نشاط الكنيسة الارشادي، ٥.

١٥. قرار مجمعي في الحركة المسكونية، ٢١.

لذواتنا من نتائج الخطيئة الأصلية والخطايا التي نقترفها في هذه الدنيا. وعندما تكون توبتنا حقيقية، نملك العالم ونتجدد بالروح، ونكون أداة طيعة بين يدي الله كما يؤكد ذلك المجمع بقوله: "بما ان المسيح افتدى الانسان وجعله خليفة جديدة في الروح القدس يستطيع هذا الانسان، بل عليه، ان يحبّ هذه الاشياء التي خلقها الله نفسه. فهو يتقبلها من الله: يراها وكأنها تفيض من يد الخالق ولذلك يحترمها. إنه من أجلها يرفع الشكر لله الذي أنعم بها عليه. إنه يستعملها ويتنعم بها بروح الفقر والحرية. وعندئذ يملك العالم ملكاً حقيقياً كمن لا شيء له ويملك كل شيء. "إن كل شيء لكم أمّا أنتم فللمسيح والمسيح لله" ١٦.

نحن لله بتوبتنا الدائمة إليه وباستسلامنا لتدبيره الالهي الذي أرادنا له أبناء مخلصين في رسالتنا على هذه الارض. فالتوبة هي الوسيلة للولوج الى قلبه وللعيش معه الى الأبد.

١٦. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٣٧.

الفصل السابع

الانسان والتربية

في مقدّمته "لليان في التربية المسيحية" يقول المجمع: "إن ما للتربية من أهمية خطيرة في حياة الانسان، وتأثيرها المتزايد دوماً في تقدّم المجتمع المعاصر، إنّما هو موضوع ينظر المجمع المسكوني المقدّس إليه بجديّة واهتمام"^١. فموضوع التربية شغل آباء المجمع لأنهم اعتبروا ان كلّ البناء الانساني المتكامل يقوم عليها، ولا سيّما في قلب العائلة لأن غاية تأسيس الزواج والحب الزوجي في طبيعتهما هو انجاب البنين وتربيتهم. من هنا فعلى الوالدين ان يخلقوا جوّاً عائليّاً تحييه المحبة والاحترام لله وللبنشر، جوّاً يساعد على تربية أبنائهم الكاملة، الشخصية والاجتماعية^٢. وبهذا المعنى يقول المجمع ايضاً: "غير ان الحبّ الزوجي الحقيقي يقدر تقديرًا أعظم ويتكون رأي عام صحيح بصدده إذا أدّى الأزواج المسيحيون في هذا المجال شهادة سامية في الأمانة والانسجام وفي تفانيهم في تربية الأبناء، وإذا تحمّلوا مسؤولياتهم في التجديد الضروري الذي بهدف الزواج والعيلة ويتناول

١. بيان في التربية المسيحية، مقدمة.

٢. المرجع نفسه، ٣.

الحقل الثقافي والنفسي والاجتماعي"٣. فالازواج يجب ان يعرفوا أنهم يساهمون في حبّ الله الخالق، ويجب ان يعرفوا ايضاً أنهم المترجمون عنه عندما يقومون بواجبهم الملقى على عاتقهم في نقل الحياة وتربية البنين٤. وحيث تنقطع الحياة الزوجية الحميمة، تتعرض الأمانة للاخطار كما يتعرض خير البنين للتهلكة: ففي هذه الحالة يحقد الخطر بتربية الأولاد وتنقص الشجاعة الضرورية لقبول أولاد آخرين فيما بعده. ولكن، لكي تستطيع العائلة ان تبلغ كمال حياتها ورسالتها تقضي باتحاد النفوس اتحاداً مطبوعاً بالحب، وان يضع الزوجان أفكارهما تحت تصرف بعضهما، وأن يتعاون الوالدون تعاوناً واعياً في تربية الأبناء. كذلك على الاولاد ان يتربّوا بطريقة يستطيعون معها، متى اصبحوا بالغين وواعين تماماً مسؤولياتهم، ان يتبعوا دعوتهم بما فيها الدعوة الدينية، ويختاروا نخط حياتهم. ولكي يستطيعوا، اذا تزوجوا، أن يؤسسوا عائلتهم بالذات ضمن أوضاع أدبية واجتماعية واقتصادية مؤاتية٦. فالأهل تنتهك حقوقهم عندما يُرغم الأبناء على متابعة دروس لا تتفق ومعتقدهم الديني، أو عندما تفرض طريقة وحيدة للتربية تنفي منها كل تشئة

٣. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٤٩.

٤. المرجع نفسه، ٥٠.

٥. المرجع نفسه، ٥١.

٦. المرجع نفسه، ٥٢.

دينية^٧. لذلك يحضّ المجمع الفاتيكاني جميع الناس، لا سيّما أولئك الذين يعتبرون بتربية الآخرين، أن يبذلوا جهودهم ليربّوا رجالاً يؤدّون الطاعة للسلطة الشرعية ويتعشّقون الحرية الحقّة^٨. ومن ثمّ يحثّ المجمع المقدّس المسيحيّين ان يعملوا على اكتشاف أساليب تربويّة ملائمة، وان ينظّموا الدروس تنظيماً رفيعاً، ويعدّوا أساتذة كفّوين كي يهذّبوا الشبيبة تهذيباً لائقاً، ويقدموا مساعداتهم تلقائياً وخاصة بواسطة جمعيات الأهلين، وان يتابعوا كلّ عمل ويساندوه، وبنوع أخصّ، التهذيب الأدبي الواجب تأمينه^٩. وبما ان الكنيسة تعي وتقدر الواجب الخطير الذي يدعوها الى ان تسهر دوماً على تهذيب جميع أبنائها الأدبي والديني، ترى ذاتها ملزمة ان تكون حاضرة بعطفها ومساعدتها الخاصة الى جانب ذلك العدد الكبير من أولادها الذين يتربّون في المدارس غير الكاثوليكية^{١٠}. ولكن، بما ان حكم الآباء يفترض ضميراً صحيحاً التنشئة، إنه لفي بالغ الأهمية ان يتوفر للجميع البلوغ الى مستوى المسؤولية، مطابق للآداب وانساني حقاً، يحسب حساباً للشرعية الالهية، دون ان يهمل الظروف بجملتها. وهذا يفترض ان تتحسن الوسائل التربوية

٧. بيان في الحرية الدينية، ٥.

٨. المرجع نفسه، ٨.

٩. بيان في التربية المسيحية، ٦.

١٠. المرجع نفسه، ٧.

والأوضاع الاجتماعية في كل مكان تقريباً فتصبح ممكنة، في بادئ الأمر، التنشئة الدينية أو أقله التربية الأدبية التي لا نقص فيها^{١١}. وعلاوة على الثقيف الروحي يجب ان يتدرّب العلماني تدريباً عقائدياً قوياً، لا سيّما في علم اللاهوت والاخلاق والفلسفة، حسب اختلاف السنّ والأحوال الاجتماعية والمقدّرات الشخصية^{١٢}.

وأما عن التربية المسيحية فيؤكد المجمع على أنه "من واجب الأهل ان يهيئوا أبناءهم في العيلة ومنذ نعومة أظفارهم لأن يعرفوا ان الله أحبّ الناس بأسرهم. ويعلموهم شيئاً فشيئاً، ولا سيّما بمثلهم، ان يهتموا لحاجات القريب، المادية منها والروحية، فتصير العيلة بكاملها وتصير حياتها المشتركة بمثابة تدريب أولي على العمل الرسولي"^{١٣}. فللأهل يعود الحق في تقرير جوهر التنشئة الدينية التي يجب ان تعطى لأولادهم وفقاً لاعتقادهم الديني الخاص. أمّا حقوقهم فتنتهك عندما يرغم الأبناء على متابعة دروس لا تتفق ومعتقد الأهلين الديني أو عندما تفرض طريقة وحيدة للتربية تنفي منها كل تنشئة دينية^{١٤}. فعلى الأزواج ان

١١. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٨٧.

١٢. قرار مجع في رسالة العلمانيين، ٢٩.

١٣. المرجع نفسه، ٣٠.

١٤. بيان في الحرية الدينية، ٥.

يقوموا حسب ضميرهم بواجب التربية، وخاصة التربية الدينية لأن الحق فيها يعود لهم أولاً، كما عليهم ان ينشئوا الشبان على التربية الوطنية النابعة من قناعتهم بانهم يخدمون المجتمع في توجيه أبنائهم. كذلك يذكر المجتمع المقدس رعاية النفوس بواجبهم الخطير وهو ألا يألوا جهداً في العمل كي يفيد كل المؤمنين من هذه التربية المسيحية، وخاصة الشباب الذين هم أمل الكنيسة^{١٥}. وليجتهد الأساقفة كي يفقه المؤمنون بطريقة أعمق السرّ الفصحي وان يعيشوا منه أكثر فأكثر بواسطة الافخارستيا بحيث أنهم يؤلفون جسداً واحداً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً في وحدة محبة المسيح، بمواظبتهم على الصلاة وخدمة الكلمة. وليعملوا لكي يكون كل الذين أوكل اليهم أو الاعتناء بهم واحداً في الصلاة، فينموا باقتبالهم الاسرار في النعمة ويكونوا للربّ شهوداً أمينين^{١٦}. وهذا ما بشر به العهد القديم، هادفاً، بنوع خاص، الى تهيئة مجيء المسيح مخلص الكلّ، ومعدداً للملك السماوي المعلن على لسان الانبياء. فمن أسفار العهد القديم تظهر للجميع معرفة الله والانسان والطرق التي يتبعها الله، في عدله ورحمته، للتعامل مع البشر، وذلك حسب أوضاع الجنس البشري التي سبقت الأزمنة التي فيها أنشأ المسيح الخلاص. وان هذه الأسفار، وان احتوت أموراً غير كاملة وزمنية،

١٥. بيان في التربية المسيحية، ٢.

١٦. قرار مجمعي في مهمة الاساقفة الراعوية في الكنيسة، ١٥.

فانها تطلعننا على طريقة تربويّة إلهيّة حقيقيّة. ولهذا فعلى المسيحيين ان يقبلوها بورع. فانها تعبّر عن المعنى الحيّ، وتكمن فيها تعاليم عالية عنه وحكمة خلاصية عن حياة البشر وكنوز رائعة فيها يحتجب سرّ خلاصنا^{١٧}. وان ما يشغل الكنيسة، كي تكمل رسالتها التربوية، هو ان تستخدم كلّ الوسائل الصالحة لا سيّما تلك التي تلائمها^{١٨}.

لذلك يجب ان تبدأ التنشئة على الرسالة مع بدء التربية التي تعطى للأولاد. إنّما على المراهقين والشبان بوجه خاص ان يدرّبوا على الرسالة ويتشرّبوا روحها. وعلى المدارس والمعاهد وسائر المؤسسات الكاثوليكية التي تعنى بالتربية أن تغذّي في الشبيبة الحاسة الكاثوليكية والنشاط الرسولي^{١٩}. ويجب في الطليعة ان تنظم تربية الشباب، أيّا كان أصلهم الاجتماعي، بشكل قوي يبعث رجالاً ونساءً لا مثقفين وحسب، بل يتمتعون بشخصية قويّة، لأن عصرنا هو بأشدّ الحاجة إليهم^{٢٠}. فانه من الواجب تثقيف الشباب في الوقت الملائم وبطريقة مناسبة، ومن الافضل ضمن العائلة، حول كرامة الحب الزوجي ومهمته وممارسته: فيستطيعون هكذا

١٧. دستور عقائدي في الوحي الالهي، ١٥.

١٨. بيان في التربية المسيحية، ٤.

١٩. قرار مجمعي في رسالة العلمانيين، ٣٠.

٢٠. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٣١.

عندما يحين الوقت وبعد ان يكونوا قد تدربوا على العفة، ان يتزوَّجوا بعد خطبة يعيشونها في الكرامة^{٢١}. وليعتبر اولئك الذين يتكرسون لعمل التربية، وبالأخص تربية الشبان، أو يهيئون الرأي العام، ان من أخطر واجباتهم ان يبتثوا في جميع الازدهان العواطف الجديدة المولدة للسلام^{٢٢}. كذلك على المسيحيين ان يضحّوا، باهتمام خاص، في سبيل تربية الاحداث والمراهقين بواسطة المدارس على اختلاف أنواعها، التي يجب ان تُعتبر لا كوسيلة سامية لتنشئة شبيبة مسيحية وتنميتها وحسب، بل بالوقت نفسه كخدمة للبشر لها قيمة بالغة، لا سيّما البلدان الناشئة، خدمة ترفع الكرامة البشرية وتعدّ أوضاعاً أكثر إنسانية^{٢٣}.

من جهة أخرى، فان التغير الذي يطرأ على الذهنيات والأوضاع غالباً ما يقود الى الشك في القيم المقبولة خاصة من قبل الشباب: ففي أكثر الأحيان لا يرتضون بحالتهم كما هي عليه، أضف الى ذلك قلقهم الذي يجعلهم في ثورة بينما يدركون أهميتهم في الحياة الاجتماعية ويرغبون في ان يضطلعوا بقسطهم من المسؤوليات. ولهذا السبب ليس من النادر ان يشعر الأهل والمربون بالصعوبات المتزايدة التي

٢١. المرجع نفسه، ٤٩.

٢٢. المرجع نفسه، ٨٢.

٢٣. قرار مجمعي في نشاط الكنيسة الارشادي، ١٢.

تعرّضهم في تميم مهمتهم^{٢٤}. فعلى الأهل والمعلمين، وعلى كل من تهمهم بصورة من الصور تربية الاولاد والشباب أن يربّوهم كي يفهموا عناية الرب برعيته، ويقدرّوا حاجات الكنيسة، ويتأهبوا للجواب بسخاء على دعوة الرب القائل بالنبي: "ها أنذا فأرسلني"^{٢٥}. وعليه، فالتربية هي رسالة سامية تستمدّ أبعادها الروحية من الكلمة الالهية الذي اعتبر مربياً قبل كلّ شيء، لأن خلاص البشر يقوم على هذه التربية الصالحة التي تتمثل فيها جميع اتجاهات الانسان الحاضرة والمستقبلية. فالمعلمون والمربّون، الذين بدعوتهم وبواجب وظيفتهم ينهجون طريقاً مميّزاً، فهم بذلك يتشرّبون من التربية ما يمكنهم من نقلها بصورة فعّالة، وذلك بدعوتهم الى الأصول المسيحية التي على أساسها يبنى المجتمع الفاضل المتكامل بواسطة التدبير الالهية في الزمن. من هنا، فان تعاون المربّين مع النعمة الالهية هو شهادة للايمان الحقيقي، وهو تدريب على الرسالة العظمى التي من اجلها تجسّد المسيح ومات فداءً عن البشر. وعلاوة على حقوق الأهلين والمربين، فان المجتمع المدني هو الكفيل بتحمّل المسؤوليات التي يقصّر فيها المربّون، وعليه ايضاً ان يختار بحكمة من هم على كفاءة عالية في الشؤون التربوية لينشئوا الاطفال والشبان على احترام الفرد الانساني والمجموعة البشرية بكاملها. وذلك

٢٤. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٧.

٢٥. قرار مجمعي في حياة الكهنة وخدمتهم الراعوية، ١١.

يعود الى ان الغاية التي تتوخاها التربية الحقّة هي تربية الشخص الانساني تربية تتجاوب وغايته الأخيرة وخير الجماعات التي هو عضو فيها، ويبدل النشاط في سبيلها عندما يصبح راشداً^{٢٦}. وزيادة على ذلك، فانه من الواجب الاهتمام الشديد بالتربية الوطنية والسياسية ليتمكن المواطنون جميعاً من ان يلعبوا دورهم في الحياة السياسية التي هي ضرورية للشعوب كافة أو الشبان على الأخص. من هنا تجب التربية المدنية التي تهّيّ التربية الوطنية بعدها الاجتماعي المتكامل، ومن هنا ايضاً التركيز على الأسس والقيم التي تبني المجتمع الصالح الذي يرشد إليه المجمع في كلّ توجيهاته.

ويختصر آباء المجمع توجيهاتهم في الشأن التربوي بالتأكيد على ان المسيرة الانسانية بكاملها هي مسيرة تربويّة صرفة، إليها يعود كلّ تقدّم، وفيها يكون كلّ تفاعل خلاق على الصعيد البشري. وإنه لمن الضروري الوقوف على معطيات الوحي الالهي الذي اراد للانسان مسيرة خلاصية فداية من خلال تعليم المسيح في انجيله. وليس هناك من تناقض بين هذا الوحي ومعطيات الطبيعة البشرية التي أوجدها الله لكماها ولنموّها في الاطار الزمني. فالزمن هو الكفيل بتوضيح الرؤيا الالهية من خلال العودة الدائمة الى

٢٦. بيان في التربية المسيحية، ١.

معطيات التعاليم المقدسة لأنّ الانسان هو ابن الله وهو صورته على هذه الارض. وبقدر ما يكون الانسان محققاً لتربية واعية وصاقلة للشخصية البشرية، بقدر ذلك يقوم بدوره الفاعل في المجتمع المسؤول عنه. وإن الأهل والمربين هم الركيزة الاساسية لهذه التربية مع الدولة التي تحتضن أبناءها وتوجههم الى خير خلاصهم.

وينتهي المجمع كلامه بالقول: "وفقاً لمبدأ الاستطراد، على المجتمع المدني ان يكمل عمل التربية حيث يقصّر الأهلون، وحيث تنقص بادرآت المؤسسات الاخرى مراعيأ في ذلك رغبات الأهلين. وعلاوة على ذلك، على المجتمع المدني ان يؤسس المدارس والمعاهد التربوية الخاصة على قدر ما يقتضيه الخير العام"^{٢٧}.

٢٧. المرجع نفسه، ٣.

الفصل الثامن

الانسان والثقافة

لقد اتّخذ موضوع الثقافة في المجمع الفاتيكاني الثاني أهميّة كبرى لأنّه اعتبره أحد أهمّ ميزات هذا العصر، ولا سيّما ان الانسان، في بعده الوجودي، هو الانسان المثقّف والذي يستند الى العقل في تحليلاته لكل ما يعترض طريقه في الوجود. فالى جانب الاقتصاد والمؤسسات الاجتماعية والعلاقات الدوليّة وغيرها، فان للثقافة دوراً مهماً جداً في النظام الزمني الذي يعيشه الانسان. لذلك أعلن المجمع، أوّل ما أعلن، في قراره المجمعي في رسالة العلمانيين، العدد السابع، حيث قال: "إنّ كلّ ما يتركّب منه النظام الزمني، أعني خيرات الحياة والعائلة، والثقافة، والاقتصاد، والحرف والمهن، ومؤسسات الجماعة السياسية، والعلاقات الدوليّة وغيرها مما يشبهها وتطوّرها وتقدّمها، كلّ هذا لا يساعد الانسان في سيره الى غايته وحسب، إنّما له قيمته الخاصّة التي أودعه الله إيّاها، وسيّان ان نظرنا الى هذه الأمور في ذاتها أو كجزء من أجزاء النظام الزمني بأسره: "ورأى الله جميع ما صنعه فأذا هو حسن" (تكوين، ١: ٣١).^١ فالانسان

١. قرار مجمعي في رسالة العلمانيين، ٧.

عليه احترام النظام الزمني احتراماً تاماً، وان يتقيّد بنواميسه الذاتية بصورة تجعله ينسجم ومبادئ الحياة المسيحية الزمنية ويتوافق والظروف المختلفة مكاناً وزماناً وشعوباً، ونشاطه الاجتماعي يجب ان يمتد الى القطاع الثقافي بنوع خاص. والمجمع "يدعو بالحاح الجماعات والافراد الذين يتمتعون بنفوذ مرموق في الاقتصاد والتقنية ان يعضدوا طوعاً وبسخاء، بشرواتهم وخبرتهم، هذه الوسائل بقدر ما هي في خدمة الثقافة والرسالة الحقّة"^٢. وما دور الكنيسة، بكل ما تقوم به من اعمال، إلا لتثبت وترفع وتقيم ما هو مغروس من خير في قلوب البشر وعقولهم، وفي طقوس الشعوب وثقافتها، وذلك تمجيذاً لله ولسعادة الانسان ولخزي الشيطان^٣. ولقد حثّ العلمانيين على الاجتهاد بكلّ قواهم، بما لهم من كفاءة في الفنون الدنيوية وباعمالهم التي ترفعها نعمة المسيح من الداخل، لكي يستثمروا خيور العمل البشري والتقني والثقافي من اجل خير كلّ البشر دون استثناء وحسب أهداف الخالق واستنارة كلمته، وان يوزّعوا هذه الخيور توزيعاً عادلاً بين البشر وليقودوهم الى تقدّم عام على صعيد الحرية الانسانية والمسيحية^٤. وانه لو اوضح ان "جميع الشعوب لا تنفك تتوحد يوماً بعد يوم، كما ان هناك

٢. قرار مجمعي في وسائل الاعلام الاجتماعية، ١٧.

٣. دستور عقائدي في الكنيسة، ١٧.

٤. المرجع نفسه، ٣٦.

علاقات أشدّ وثوقاً تربط الناس الذين تباينت ثقافتهم ودياناتهم^٥، وذلك من اجل احترام الشخصية الانسانية والكرامة الانسانية على صعيد الثقافة ذاتها. من هنا فان تجمع المؤمنين، الحايي على الثروات الثقافية، يجب ان يمتدّ بجذور عميقة في قلب الشعوب لكي يظهر حقيقة كلّ انسان من خلال اكتشافاته وتطلّعاته المستقبلية المبنية على بنية العلم المتطوّر. وكذلك فان للعمل المسكوني الدور الاساسي لتقريب وجهات النظر بين الكاثوليك وغير الكاثوليك في سبيل تعاون كامل في الشؤون الاجتماعية والتقنية كما في الشؤون الثقافية والدينية. وبهذا المعنى يعلن آباء المجمع في القرار المجمع في نشاط الكنيسة الارشادي ما يلي: "من الواجب تشجيع العمل المسكوني بقدر ما تسمح به الأوضاع الدينية وبعد استبعاد أية صورة للأبالة والتشوش أو المنافسة المستهجنة، بحيث يتعاون الكاثوليك تعاوناً أخوياً مع اخوتهم المنفصلين عنهم وفقاً لقواعد المرسوم عن الحركة المسكونية وذلك بالمجاهرة، قدر المستطاع، أمام الأمم. وبالتعاون في الشؤون الاجتماعية والتقنية كما في الشؤون الثقافية والدينية"^٦. وأمّا على صعيد الطلاب، فالجمع يحثهم على "تفتيح عقولهم ليعرفوا جيداً ويستطيعوا ان يزونا ثقافة

٥. بيان في الحرية الدينية، ١٥.

٦. قرار مجع في نشاط الكنيسة الارشادي، ١٥.

أمتهم"٧، وذلك في سبيل الحفاظ على تراثهم وتطويره والافادة منه. وهكذا يصبح انتماء الشعوب الى شعب واحد هو شعب الله إذ يشترك الجميع بثقافة واحدة غايتها تطوير الانسان على جميع الأصعدة باشكال متعددة ويسهمون في التقدّم الحضاري الذي يربط الشعوب بعضها ببعض^٨.

على صعيد آخر، فإن الجمع يشجّع، في كلّ قطر ثقافي واجتماعي كبير، التفكير اللاهوتي الذي يخضع لتنقيب جديد وعلى ضوء تقليد الكنيسة الجامعة، والذي يكشف عن الحوادث والكلام الذي أوصى به الله ودوّنته الكتب المقدّسة وشرحه آباء الكنيسة والسلطة التعليميّة^٩. لذلك على المرسلين الكنسيين ان يدرسوا بعمق عقيدة الكنيسة، وان يشدّدوا على الفروع التي يتهيّأون بواسطتها لتتميم خدمتهم في العلوم الاخرى التي يتعلّمونها بفائدة حتى يكتسبوا معرفة عامة عن الشعوب والثقافات والديانات معرفة لا تتعلّق بالماضي وحسب بل بالزمن الحاضر ايضا^{١٠}. وعلى الرهبان، بنوع خاص، ان يسعوا طوال حياتهم الى الاعتناء باكمال ثقافتهم روحياً وعقائدياً وتقنيّاً، وعلى

٧. المرجع نفسه، ١٦.

٨. المرجع نفسه، ٢١.

٩. المرجع نفسه، ٢٢.

١٠. المرجع نفسه، ٢٦.

الرؤساء ان يوفرّوا لهم، قدر المستطاع، الفرص والوسائل والوقت للقيام بذلك، لأن دورهم هو، في الاساس، دورٌ تعليمي وتوجيهي وتربوي^{١١}. كما انه واجب على الدولة السهر على المواطنين ليأخذوا بقسطٍ وافر من الثقافة، وان يتهيأوا، كما يجب، لإتمام واجباتهم وممارسة حقوقهم كمواطنين^{١٢}، وذلك لأن الثقافة والعلوم جميعها تهَيء النفس لاحترام الآخرين ولاعطاء كلّ صاحب حق حقه. وأمّا عن الكنيسة فيقول الآباء: "من اختصاصها أن تخلق للجماعة المدرسيّة جوّاً تحييه روح إنجيليّة من الحرية والمحبة، وتساعد المراهقين على إنماء شخصيّتهم جاهدة في الوقت عينه على مساعدتهم في إنماء هذه الخليقة الجديدة التي استحقوها بالمعمودية. واخيراً عليها ان توجه الثقافة الانسانيّة كلّها لنشر الخلاص بنوع ان الايمان ينور المعرفة التدريجيّة التي يتلقّاها التلامذة عن العالم والحياة والانسان. وهكذا بانفتاحها، كما ينبغي، على تقدّم العالم الحديث، تربّي المدرسة الكاثوليكيّة التلامذة على العمل المجدي لخير المدينة الدنيوية^{١٣}. فالكنيسة عليها ان تسهر على الاجيال الطالعة، مستفيدة من الاجيال الماضية لتدفع بالعلوم الى الأمام وتعلن ما تحويه الثقافات المختلفة من ثروات خفيّة تسمح بمعرفة

١١. قرار مجمعي في تجديد الحياة الرهبانية وملامتها، ١٨.

١٢. بيان في التربية المسيحية، ٦.

١٣. المرجع نفسه، ٨.

الانسان ذاته معرفة أعمق، فاتحةً أمامه طرقاً جديدة^{١٤}. كما انها تشدّد على دور هذه الثقافة في المجتمع، ولا سيّما في الزواج والعائلة والحياة الاقتصادية والاجتماعية، والحياة السياسية نفسها. فتضامن الشعوب والمجتمعات يسلّط الضوء على الخيرات التي تحملها الثقافة الانسانية التي تبلور الشخص البشري وتدفعه الى الأمام. وبهذا المعنى يقول آباء المجمع: "إن الشخص البشري خاصة لا يبلغ حقاً وتاماً الى الانسانية إلاّ عن طريق الثقافة، أي عندما يستثمر خيول الطبيعة وقيمها. وكلّما دار حديثنا على الحياة البشرية، فالطبيعة والثقافة مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً الى أبعد حدّ ممكن^{١٥}. فكلّمة "ثقافة" تعني إذن، بمعناها الواسع، عند آباء المجمع، كل ما يستخدمه الانسان العاقل وتنمية امكاناته المتعدّدة، الفكرية والجسدية، مجتهداً على اخضاع الكون بالمعرفة والعمل، ومؤسساً الحياة الاجتماعية والحياة العائلية ومجمل الحياة المدنية، بفضل تقدّم الأخلاق والشرائع، ومتزجماً وناشراً وحافظاً في مؤلفاته، عبر الأزمنة، الاختبارات الروحية الكبيرة ونزعات الانسان العظمى حتى تستخدم لتقدّم أكبر عددٍ من البشر وللجنس البشري كلّهُ^{١٦}. وبمعنى آخر، فإن أوضاع حياة الانسان الحديث، اجتماعياً وثقافياً،

١٤. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٤٤.

١٥. المرجع نفسه، ٥٣.

١٦. المرجع نفسه، ٥٣.

تحوّلت جذرياً الى حدّ أنّه من الممكن التكلّم عن طور جديدٍ لتاريخ الانسان، وذلك بفعل الثقافة نفسها التي أعطت دفعا لهذا التطوّر^{١٧}. من هنا فانه على الثقافة اليوم ان تتقدّم في قلب التناقضات البشريّة، التي تستهدفها غالب الاحيان، حتى تقود الشخص الانساني الى تفتحه الكامل المتناغم، فتساعد الناس ليقوموا بالمهمّات التي دُعوا إليها جميعاً، وخصوصاً المسيحيين، متّحدين برباط الأخوة ضمن العائلة البشريّة الواحدة^{١٨}، وذلك لأنّه بين بشارة الخلاص والثقافة صلات متعدّدة. فالله إذ كشف عن ذاته لشعبه حتى ظهوره التام في ابنه المتجسّد تكلّم وفقاً لأنواع ثقافة يمتاز بها كلّ عصر عن غيره. والكنيسة تذكّر الجميع ان الثقافة يجب ان تخضع لنموّ الشخص الكلّي، ولخير الجماعة ولخير الجنس البشري بأسره^{١٩}. من هنا ايضاً، فانه من الضروري تجنب الثقافة أي نوع من انواع المتناقضات، مهما كان الثمن، لكي لا تحيد عن هدفها الخاص فتستعبد للسلطات السياسية والاقتصادية التي تستعملها لغايات المتسلطين أنفسهم وليس لخدمة الشعوب^{٢٠}. لذلك يجب ان تتوفّر لكل فرد الكميّة الكافية من الخيور الثقافية، خصوصاً تلك التي تدعى ثقافة

١٧. المرجع نفسه، ٥٤.

١٨. المرجع نفسه، ٥٦.

١٩. المرجع نفسه، ٥٨ و ٥٩.

٢٠. المرجع نفسه، ٥٩.

"أساسية" حتى لا يحرم العدد الكبير من المساهمة بطريقة انسانية حقّه في الخير العام بسبب الأمية وقلة المبادرة^{٢١}، فهنا وهناك أوضاع حياة وعمل تعاكس جهود البشر التي تسعى للثقافة وتفقدتهم الرغبة فيها. ولذلك يجب أيضاً أن تكون العائلة بمثابة الأم المرضع لهذه الثقافة. وبهذا المعنى يقول الآباء: "ففيها، إذ يحاط الأبناء بالحب، يكتشفون بمزيد من السهولة ما بين القيم من مراتب، بينما تنطبع في عقل المراهقين كلما تقدّموا في العمر عناصر ثقافة امتحنها الزمن بطريقة قريبة من اللاوعي"^{٢٢}. غير أنه من الضروري الوفاق بين هذه الثقافة والدين المسيحي نفسه، وإن تكن الكنيسة قد ساهمت مساهمة واسعة في تقدّمها (تقدّم الثقافة). فلقد تبين من الاختبار أن ظروفًا طارئة أثّرت على مسارها بحيث أنه لم يتحقّق هذا الوفاق كلياً. لذلك وجب على المؤمنين أن يحيو باتحاد وثيق مع سائر الناس معاصريهم، مجتهدين في أن يعرفوا معرفة عميقة طرق تفكيرهم وشعورهم، كما عليهم أن يعبروا عنها بثقافتهم^{٢٣}. وعليه فإنه من المهم أيضاً ألا يتوقّف إنماء الخدمات العائلية والاجتماعية، وبالاخص تلك التي تساهم في الثقافة والتربية^{٢٤}. أمّا الطرق الواقعية التي

٢١. المرجع نفسه، ٦٠.

٢٢. المرجع نفسه، ٦١.

٢٣. المرجع نفسه، ٦٢.

٢٤. المرجع نفسه، ٦٩.

تستخدمها الجماعة السياسية لارساء قواعد تكوينها وللمحافظة على توازن السلطات العامة فيمكن ان تكون متنوعة وفقاً لكل شعب ولعبريته الخاصة ولسير التاريخ. ولكن يجب ان تكون هذه الطرق وسيلة لتنشئة إنسان مثقف، يحب السلام، لطيفاً مع الجميع، وذلك لمنفعة العائلة البشرية بأسرها^{٢٥}. ومع تزايد الاحوال تشعباً في عصرنا، تضطر السلطات العامة الى ان تتدخل بتواتر في القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لاعداد أوضاع أجزل فائدة تسمح للمواطنين وللغات ان يتابعوا تحقيق الخير العام للإنسان بطريقة حرة وأجدي^{٢٦}. وبما ان الثقافة الانسانية والعلوم المقدسة تتقدم في أيامنا بخطى متجددة، فعلى الكهنة ان يتقنوا علومهم عن الالهيات والانسانيات بدون انقطاع وبصورة مؤاتية، وذلك لتشديد الرابط بين الالهي والانساني على حد سواء لكي لا تكون الثقافة نفسها التي يحصل عليها رجل الدين متناقضة مع تعليمه السماوي. فالوحدة في الرؤيا هي اساس هذا التلاقي، والعلم لا يتناقض مع معطيات الوحي، سيما وان التعمق في العلوم يقرب من الله أكثر.

واما عن انتشار الثقافة، فيشدّد المجمع على الحيوية التي تعود الى التقاليد وتدفع بها الى نظرة جديدة تتناغم والتقنية

٢٥. المرجع نفسه، ٧٤.

٢٦. المرجع نفسه، ٧٥.

التي تتغذى من الدروس الكلاسيكية المطابقة للتقاليد نفسها. وبهذا المعنى يقول الآباء: "من الواجب ان توجه العناية، لتأمين انتشار الثقافة انتشاراً واسعاً، باستخدام الوسائل المهمة التي هي بتصرف البشرية اليوم، وذلك لكي يتسلح كل واحد تسليحاً أوفى لمجابهة المسؤوليات إن تجاه نفسه وإن تجاه الفئات المختلفة التي ينتمي إليها"^{٢٧}. وعندئذ تبسط الطرق الجديدة لتكامل الثقافة وتنشرها. لقد عملت على اعدادها تلك الدفعة الهائلة للعلوم الطبيعية والانسانية والاجتماعية ايضاً. كما عمل على اعدادها التقدم التقني والانطلاقة والتنظيم الأفضل للوسائل التي تسمح للبشر بالاتصال ببعضهم بعضاً^{٢٨}. وتتوطد الرغبة عند عدد كبير من الناس في ان يأخذوا قسطاً أوفر في تنظيم الجماعة السياسية، وذلك لاتصالها الوثيق بالتقدم الثقافي والاقتصادي والاجتماعي^{٢٩}. لهذا على الدولة ان تضمن حق الأولاد في تربية مدرسية صالحة، فتسهر على كفاءة المعلمين، ومستوى الدروس، وصحة التلاميذ ايضاً، وعلى تنظيم الجهاز المدرسي بوجه عام، واضعة نصب عينيها مبدأ الاستطرد، وبالتالي نابذة كل احتكار مدرسي. فكل احتكار من هذا النوع يتنافى وحقوق الشخص البشري الطبيعية وتقدم الثقافة بالذات وانتشارها

٢٧. المرجع نفسه، ٣١.

٢٨. المرجع نفسه، ٥٤.

٢٩. المرجع نفسه، ٧٣.

وتوافق المواطنين السلمي، ويتنافى أخيراً والمبدأ الجماعي السائد في أيامنا^{٣٠}. وبالتالي يجب توفير الامكانيّة لمن يستطيعون متابعة دروس عالية وبطريقة تمكّنهم قدر المستطاع من أن يتسلّموا الوظائف ويؤدّوا خدمات في الحياة الاجتماعية تتفق ومؤهّلاتهم مع الجدارة التي اكتسبوها. وهكذا يتمكّن كلّ انسان كما تتمكّن كل فئة اجتماعيّة من كل شعب أن تبلغ ازدهارها الثقافي الكامل وفقاً لمواهبها وتقاليدها^{٣١}. كما ان ازدياد التبادل بين مختلف الأمم والفئات الاجتماعية يكشف للجميع ولكلّ واحد، بطريقة أكثر اتّساعاً، ثروات الثقافات المختلفة. وهكذا يفسح في المجال، رويداً رويداً، لنوع من الحضارة أكثر شمولاً يدفع بوحدة الجنس البشري الى الامام ويعبّر عنها بقدر ما يحترم ميزات كل ثقافة على حدة^{٣٢}. وهكذا يؤدي ازدياد التبادل الثقافي الى حوار حقيقي ومثمر بين مختلف الفئات والأمم، ولا يهدم حكمة الاجداد، ولا يعرّض للخطر العبقريّة التي يمتاز بها كلّ شعب^{٣٣}.

٣٠. بيان في التزيية المسيحية، ٦.

٣١. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٦٠.

٣٢. المرجع نفسه، ٥٤.

٣٣. المرجع نفسه، ٥٦.

وأما على صعيد تطوّر الثقافة، فيعلن الجمع حقّ الكنيسة، الذي أقرّته السلطة التعليميّة في أكثر من وثيقة، بحريّة تأسيس المدارس من كلّ نوع ودرجة. ويذكر ان استعمال هذا الحق يقتضي، في بادئ الأمر، حرّيّة الضمير، وتأمين حقوق الأهلين، وتطوّر الثقافة على السواء^{٣٤}. ونظراً الى ان عدد الرجال والنساء الذين يعون أنهم عملة ومطوّرو الثقافة في مجتمعهم يزداد باستمرار، فانه من الضروري ان نكون شهوداً لولادة ثقافة جديدة محورها الانسان المسؤول الذي يتحمّل تلك المسؤوليّة تجاه اخوانه وتجاه التاريخ^{٣٥}. وفي ظروف كهذه لا عجب إذا دفع الانسان رجاءً أكبر عندما يدرك أنه مسؤول عن التقدّم الثقافي، غير أنه يواجه ايضاً، بنوع من القلق، التناقضات المتعدّدة التي يجب أن يجد لها حلاً^{٣٦}. ولأن الثقافة تصدر مباشرة عن الانسان بما أنه عاقل واجتماعي، فهي دائماً بحاجة الى حرية كافية حتى تزدهر وفقاً لمبادئها الخاصة^{٣٧}. وان تكن الكنيسة قد ساهمت مساهمة واسعة في تقدّم الثقافة، فالاختبار يبيّن على أنه، ولظروف طارئة، ليس من السهل دائماً تحقيق الوفاق

٣٤. بيان في الغزبية المسيحية، ٨.

٣٥. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٥٥.

٣٦. المرجع نفسه، ٥٦.

٣٧. المرجع نفسه، ٥٩.

بين الثقافة والدين المسيحي^{٣٨}. لذلك علينا التنبّه الى التحويلات الجذريّة في أنظمة الشعوب وهيكليّاتها لكي يكون التطوّر الثقافي والاقتصادي والاجتماعي متوافقاً مع النظرة المسيحيّة الكاملة للانسان وللمجتمعات البشريّة^{٣٩}.

وأما على صعيد تعدّد الثقافات وتعميمها واختلافها، فالجمع يؤكّد على "ان الثقافة البشرية تحمل ضرورةً مظهرًا تاريخيًا واجتماعيًا. وان كلمة "ثقافة" غالباً ما تحمل معنى له علاقة بعلم الاجتماع وأصل الشعوب. واستناداً الى هذا يمكن التكلّم عن تعدّد الثقافات. فهناك أنماط حياة متنوّعة ومقاييس مختلفة للقيم تنبع من الطريقة الخاصة التي بها نستخدم الاشياء ونشتغل ونتكلّم ونمارس الديانة ونسلك ونسنّ الشرائع ونخلق الأنظمة القانونيّة، ونغني العلوم والفنون ونتعشّق الجمال"^{٤٠}. من هنا "فان العائلة هي، في بادئ الأمر، بمثابة الأم المرضع لهذه التربية: ففيها، إذ يحاط الأبناء بالحب، يكتشفون بمزيد من السهولة ما بين القيم من مراتب. بينما تنطبع في عقل المراهقين كلّما تقدّموا في العمر عناصر ثقافة امتحنها الزمن بطريقة قريبة من اللاوعي. وفي سبيل هذه التربية نفسها، ترتع المجتمعات اليوم، خصوصاً

٣٨. المرجع نفسه، ٦٢.

٣٩. المرجع نفسه، ٧٣.

٤٠. المرجع نفسه، ٥٣.

بفضل انتشار الكتب المتزايدة وبفضل وسائل النشر الجديدة الثقافية والاجتماعية، تترع بخيرات مناسبة تقدر ان تسهل تعميم الثقافة^{٤١}. كما ان ازدياد التبادل بين مختلف الأمم والفئات الاجتماعية يكشف للجميع ولكل واحد بطريقة أكثر اتساعاً ثروات الثقافات المختلفة. وهكذا يفسح المجال رويداً رويداً لنوع من الحضارة أكثر شمولاً يدفع بوحدة الجنس البشري الى الأمام ويعبر عنها بقدر ما يحترم ميزات كل ثقافة على حدة^{٤٢}. وبما أنه بين بشارة الخلاص والثقافة صلات متعددة، فالله، إذ كشف عن ذاته لشعبه حتى ظهوره التام في ابنه المتجسد، تكلم وفقاً لأنواع ثقافة يمتاز بها كل عصر عن غيره. وكذلك الكنيسة، التي مرت عبر الأجيال بأوضاع حياتية متنوعة، استعملت مرافق الثقافات المختلفة لتنشر بشارة المسيح الى كل الأمم وتعرضها في مواعظها لتكشفها وتعمق بها أحسن ثما كانت عليه، ولتعبّر عنها بطريقة أكمل في الاحتفالات الطقسية وفي حياة جماعة المؤمنين المتعددة الأشكال، وذلك لتستطيع التجاوب مع الثقافات المختلفة لأنها أمينة دائماً لتقليدها الخاص وتدرک تماماً ان رسالتها شاملة: وينتج عن ذلك زيادة في الغنى الذاتي، وغنى للثقافات المختلفة^{٤٣}. ولأن الثقافة تصدر

٤١. المرجع نفسه، ٦١.

٤٢. المرجع نفسه، ٥٤.

٤٣. المرجع نفسه، ٥٨.

مباشرة عن الانسان بما أنه عاقل واجتماعي، فهي دائماً بحاجة الى حرية كافية حتى تزدهر، ولسيادة مشروعة في العمل وفقاً لمبادئها الخاصة^{٤٤}. لذلك فالجمع يتبنى تعليم الجمع الفاتيكاني الأول ويعلن أن هناك "نظامين للمعرفة" متميزين، نظام الايمان ونظام العقل. ولا تمنع الكنيسة أبداً أن "تتمتع الفنون والعلوم البشرية بمبادئها الخاصة وبمبادئها الخصوصية". ولذلك "تقرّ الكنيسة بهذه الحرية اللازمة"، وتؤكد السيادة المشروعة للثقافة وخاصة للعلوم^{٤٥}.

نستنتج من كل ما عرضنا لغاية الآن أن الجمع الفاتيكاني الثاني أعطى للثقافة دوراً مهماً في حياة الانسان المعاصر، خصوصاً وإن العالم في تطوّر كبير على صعيد التقنية التي تخدم هذا الانسان في شتى الحقول. ولقد شدّد على دور التلاقي بين الوحي الالهي وتطوّر العلوم الحديثة بنوع ان تلاقي الاثنين هو ضروري جداً لكشف رسالة المسيح والبشارة الجديدة. وانه لمن الضروري ايضاً ان تخدم هذه الثقافة حرية الفرد في جميع المجتمعات بحيث ان الانسان هو مهدّد اليوم من سيطرة الآلة عليه، وبنوع خاص من سيطرة المتسلّطين على مقدّرات العالم. فلا يجوز ان يستعمل العلم والثقافة إلاّ لخدمة المجتمعات، ولا سيّما المجتمعات

٤٤. المرجع نفسه، ٥٩.

٤٥. المرجع نفسه، ٥٩.

الضعيفة والفقيرة على حد سواء. ولقد لاحظ المجمع ان تقنيّة القرن العشرين تجعل من بعض القوى المسيطرة على خيرات الارض قوى لا تعطي قيمة لحقوق الانسان إذ إن شريعة القوى هي السائدة في عالم تحكمه المادّة. ولقد راع آباء المجمع ان يروا دولاً وشعوباً تعيش فقراً مدقعاً، بينما دول اخرى تعيش بجوحة كبيرة دون مساعدة الفقير والدول الصغرى. لذلك شدّد على دور الثقافة المحرّرة التي يجب ان تنظر الى الانسان كإنسان، مخلوق من الله وله كرامته، ولا تنظر اليه كاداةٍ يستغلّها الأقوى والأغنى. وعليه فلقد دعا الآباء الى توازن اجتماعي والى رقابة ذاتية لكي ينمو الانسان في الخطّ الذي اراده التدبير الالهي على هذه الارض. والثقافة هي التي تعطي العقل مداه الوجودي في تحقيق كلّ ما يصبو إليه في سبيل كرامة الانسان واحترامه. ولعلّ أهم ما جاء في فصل الثقافة والانسان هو تفعيلها لكلّ مقدّرات الكون في سبيل إحلال السلام بين شعوب الارض. فالثقافة هي الركيزة الاولى لاحلال هذا السلام، وهي القمينة بايجاد السبل التي تحقّق لقاء الانسان مع الله والقيام بدوره الرسولي في مسيرته الخلاصيّة النابعة من فداء المسيح لجميع البشر.

الفصل التاسع

الانسان وتقدّم العلوم والتقنيات

السؤال الذي طرحه المجمع الفاتيكاني الثاني في مجال تقدّم العلوم والتقنيات كان التالي: الى أيّ مدى يخدم هذا التقدم الانسان، وبالتالي الى أيّ مدى يساهم في مسيرته الخلاصية ويؤكد له على أن الله هو دائماً المحور، لا كما يدّعي بعض المفكرين من ان العلم هو قادر على حلّ جميع مشكلات الانسان وليس بالضرورة العودة الى معطيات الدين. وامام هذا السؤال الجوهري الذي تبين من خلاله أن الأكرثية الساحقة من الناس تؤمن بالعلم وحسب وتجده فيه الحلول لمشاكلها النفسية والمادية، دقّ المجمع نفير الخطر معلناً بقوله: "ان ازدياد البشر يوماً بعد يوم، وتقدم العلوم والتقنيات، والصلات الوثيقة بين الناس لم تجعل أبعاد رسالة العلمانيين متزامية الأطراف وحسب، تلك الأبعاد التي لا يلجها غيرهم في معظم مجالاتها، بل تخلق معضلات جديدة تفرض عليهم عناية واعية وسعياً متواصلاً... وفي أيامنا الحاضرة نجد عدداً غير قليل من الناس ممن أولوا تقدّم العلوم

والتقنية ثقةً متطرفةً جنحت بهم الى عبادة الأشياء الزمنية
فصاروا عبيداً لها أكثر منهم أسياداً^١.

وفي الواقع، إن تقدّم العلوم والتقنيات طرح مشاكل
جديدة على المسيرة الخلاصية إذ راح العلماء يبشرون بعهدٍ
جديد بإمكانه ان يلغي الله من المسيرة، خصوصاً في النصف
الثاني من القرن التاسع عشر وفي مطلع القرن العشرين،
وحتى ذهب بعض الفلاسفة للتبشير بموت الله وبكلّ ما
يتعلّق به. غير ان هذه النزعة المادية لم تتوسّع كثيراً نظراً الى
ان فلاسفة كباراً راحوا ينادون بالعودة الى الروح والتأكيد
على الروح التصوفية وفي طليعتهم "برغسون" و"بلوندل"
وغيرهما من الذين رأوا أن الارتباط بالواقع الالهي هو من
جوهر الوجود بالذات. واجمع الفاتيكان الثاني رأى بدوره
ان تطوّر العلوم يجب ان يساهم في التقريب من الله، وان
الانسان هو بحاجة الى هذا التطوّر ليتلاقى البشر مع بعضهم
البعض من خلال الافادة من هذه العلوم. من هذا المنطلق
شدّد على ذلك بقوله: "قيمة الانسان هي في ذاته أكثر ممّا
هي في مقتناه. وكذا القول عن كلّ ما يضعه الانسان لتسود
العدالة أكثر ممّا هي عليه ويزداد انتشار الأخوة، وليسود
نظام أكثر إنسانية في العلاقات الاجتماعية. فقيمة كلّ ذلك
تفوق قيمة التقدّم التقني. إذ ان التقدّم، إذا استطاع أن يوفر

١. قرار مجمعي في رسالة العلمانيين، ٧١.

الاساس المادي للرقىّ الانساني يعجز بذاته تماماً عن تحقيق هذا الرقىّ^٢. وفي الواقع، ان تقدّم العلوم والتقنية بامكانها ان تساهم في مجبوحه الانسان المادي. غير ان الشأن الروحي هو من مسؤولية الدين والكنيسة. وعليه فان الواجب يدعو الى توازن حقيقي بين التقدّم العلمي والتقدّم الروحي، وإلاّ فان الخلّ يكون سبب الصراع الكبير الذي سيجعل الانسانية في رفض لمعطيات الدين ولخوريّة الله في كلّ شيء. وانه لمن المؤكّد ان التطوّر العلمي هو ناتج عن العقل، والعقل هو من صنع الله، يوصي به الى كلّ تقدم. من هنا يعلن الجمع في مقدمة البيان في التربية المسيحيّة: "واذ يمكنهم تقدّم التقنية والبحث العلمي العجيب، ووسائل الاعلام الاجتماعي الجديدة على التنعم بأساليب التسلية المتزايدة، تجعلهم بالوقت عينه يبلغون بسهولة زائدة الى إرث البشرية الثقافي والروحي، ويغنون بعضهم البعض بواسطة العلاقات الوثيقة التي تربط بين الجماعات وبين الشعوب بالذات"^٣.

من جهة أخرى، فان الجمع يتخوّف من تقدّم العلوم والتقنية لأنها ربّما تؤدّي الى الالحاد والى البعد عن الله. وبهذا المعنى يقول: "ان الالحاد الحديث يظهر غالباً بشكل مذهبي يدفع بميل الانسان الى السيادة الى حد يصعب فيه

٢. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٣٥.

٣. بيان في التربية المسيحية، مقدمة.

الارتباط بالله - هذا بقطع النظر عن بقيّة الاسباب -
ويتمسك المنادون بالحاد من هذا النوع الى ان الحرية تقوم بما
يلي: الانسان هو غاية في ذاته، هو الذي يصنع تاريخه
وينظمه بذاته. ويزعمون ان هذه النظرة الى الواقع لا تتفق
والاعتراف برب صانع وغاية كل شيء. أو على الأقل إن
هذه النظرة تجعل هذا التأكيد الأخير تافهاً وقد يزداد هذا
الاعتقاد رسوخاً بفضل الشعور بالقوة الذي يمنحه للانسان
تقدمه في حقل التقنيّة^٤. هذا التخوّف جاء في مكانه بالنسبة
الى الجمع، لأن تيارات عديدة اليوم تعتبر ان الانسان ليس
بحاجة الى وجود الله في حياته، وان العلم يحلّ جميع مشاكله.
ولكن الجمع ينبّه الى ذلك لأن الانسان ليس غاية ذاته في
التدبير الالهي، بل الله هو الغاية الأخيرة، وبالتالي فما
الوجود سوى فعل ايمان بالله من قبل الانسان. من هنا يقول
الجمع: "بما ان الانسان يشترك بنور العقل الالهي، يحق له أن
يفكر أنه يفوق بعقله عالم الاشياء. ومما لا شك فيه ان
عبقريته عملت عبر الاجيال بالكد والجد على تقدّم العلوم
الاختباريّة والفنون الجميلة"^٥، غير ان تفوّقه بعقله يجب ان لا
يوصله الى تأليه ذاته ومعرفة حدوده البشرية في هذا الوجود.
إن الانسان، رغم هذا التفوّق، يبقى خليقة الله المميّزة،
ولكن يبقى خليقة وليس إلهاً. لذلك يجب الافادة من خبرة

٤. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٢٠.

٥. المرجع نفسه، ١٥.

الاجيال الماضية وتقدّم العلوم وما تحويه الثقافات المختلفة من ثروات خفية تسمح بمعرفة الانسان ذاته معرفة أعمق وتشقّ للحقيقة طرقاً جديدة، ولكن كلّ ذلك ضمن حدود الاقرار بان الله هو الخالق وهو الموجه وهو الساهر على هذا التطور. والجمع يشجّع تطوّر العلوم بقوله: "لما كانت العلوم تتقدّم خاصة بفضل أبحاث مختصّة ذات قيمة علميّة رفيعة، فيجب ان تعزّز الجامعات والمعاهد الكاثوليكيّة معاهد غايتها الاولى تشجيع التنقيب العلمي"^٦. فتشجيع العلم والتقنيات كان من أهداف الجمع. غير أنه تخوّف من ان يكون هذا التطوّر لأبعاد الانسان عن ربّه. لذلك شدّد مراراً ومراراً على تلاقي الدين والعلم من خلال منظار التدبير الالهي الذي اراد للانسان ان يتطوّر، ولكن ضمن نطاق تطوّر الروحي، وإلاّ كانت شخصيته في انفصام، وكان علمه سبباً لهلاكه.

إذن، الغاية الاساسية من خلق الانسان ومن تطوّرهِ، على جميع الأصعدة، هي معرفته الحقيقية لله، ومحبّته له، وخلاصه الأبدي. وهذا ما دعا إليه تقليد الكنيسة وشدّد عليه، وهذا ما نبّه إليه الجمع بقوله: "كيف يتمّ إذن انتشار حيوية الثقافة الجديدة ومساندتها دون أن تزول الأمانة الحية لأرث التقاليد؟ وان هذه المشكلة لتطرح بمحة خاصة عندما يكون المقصود تناغم الثقافة التي هي ثمرة تقدّم عظيم في

٦. بيان في التربية المسيحية، ١٠.

حقول العلوم والتقنيّة والثقافة التي تنغذى من الدروس الكلاسيكية المطابقة للتقاليد المختلفة... وان تقدّم العلوم والتقنية اليوم قد يفسح في المجال أمام الشكلاية واللاأدرية عندما يتخذ خطأ أساليب البحث الخاصة بهذه العلوم كقاعدة سامية للكشف عن كلّ حقيقة^٧. فالعودة الى التقليد هي الأمانة التي يجب ان نحافظ عليها، وتشجيع العلم لا ينفي هذه العودة لأن في التقليد التوجيه الصحيح الذي يبني المؤمن من خلال مسيرة خلاصه. وعندما نعي قيمة هذا التقليد وتفاعله، يكون حينئذٍ التعاون الكامل بين البشر والمساعدة على جميع الأصعدة كما يؤكد المجمع في قوله: "بكل حقّ تتحوّل الجهود اليوم، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، لمجابهة ازدياد السكان ولأشباع رغبات الجنس البشري الآخذة في الانتشار، لرفع مستوى الانتاج الزراعي والصناعي الى جانب الخدمات المعروضة. ولهذا السبب يجب تشجيع التقدّم التقني وروح التجديد وخلق المشاريع وتوسيعها وتطوير الأساليب لتصبح ملائمة، والجهود المتصلة من قبل كلّ الذين يساهمون في الانتاج، وبالاختصار يجب تشجيع كل ما يستطيع أن يكون له دور في هذه الانطلاقة"^٨.

٧. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٥٦ و ٥٧.

٨. المرجع نفسه، ٦٤.

من جهة أخرى، فإن المجمع يشدد على تقدّم العلوم النفسية والتربوية والتعليمية لأنها تساعد على تطوير مؤهلات الانسان، ولا سيّما الطلاب منهم، ليكونوا أداة فاعلة في المجتمع البشري. وبذلك يقول: "ومن الواجب، أخذاً بعين الاعتبار تطوّر العلوم النفسية والتربوية والتعليمية، مساعدة الأولاد والشبان على أن يطوروا بتنغم مؤهلاتهم الجسدية والأدبية والعلمية، وان يكتسبوا تدريجياً، تحسّساً أشدّ إرهافاً لمسؤولياتهم سواء في انماء حياتهم الشخصية بالجهد المتواصل المستقيم، وفي السعي وراء حرية صحيحة بتدليلهم بشجاعة متواصلة كلّ الصعوبات"^٩. فإذا ما تحقق ذلك، فإن تقدّم العلوم الحياتية والسيكولوجية والاجتماعية لا يسمح للانسان أن يعرف ذاته أحسن فأحسن فقط، إنّما يقدّم له الوسيلة ليؤثّر تأثيراً مباشراً على حياة الجماعات باستعمال أساليب مناسبة. وهكذا يكون التأثير لخير الكنيسة العام، ولتلاقي المؤمنين، بالعمل المسكوني بين الكاثوليك وغير الكاثوليك. وهذا أمر يشدد عليه المجمع بشكل واضح إذ يقول: "من الواجب تشجيع العمل المسكوني بقدر ما تسمح به الأوضاع الدينية وبعد استبعاد أية صورة للامبالاة والتشوّش أو للمنافسة المستهجنة، بحيث يتعاون الكاثوليك تعاوناً أخوياً مع أخوتهم المنفصلين عنهم وفقاً لقواعد المرسوم عن الحركة المسكونية وذلك بالجاهرة، قدر المستطاع،

٩. بيان في التربية المسيحية، ١.

بالايمان بالله وبيسوع المسيح أمام الأمم، وبالتعاون في الشؤون الاجتماعية والتقنية كما في الشؤون الثقافية والدينية"١٠. وهذا التعاون يؤدي، في النهاية، الى فهم عمق الصلة بين تقنية العالم المعاصر وقواعد الايمان والاخلاق، وبين الحقائق الدنيوية والحقائق الايمانية. من هنا يجب التشديد على التنقيب العلمي لأنه يصهر الانسان في بوتقة الجهد الخلاصي، ويوضح مسيرته المقدسة كاملة كما يقول المجمع في ذلك: "فعلى الانسان ان يحترم ويقرّ الوسائل الخاصة لكل من العلوم والتقنيات. ولذا فالبحث المنهجي في كل فرع من فروع المعرفة، لا يكون منافياً للايمان، إن قاده الانسان بطريقة علمية صرفاً مراعيّاً قواعد الاخلاق: فالحقائق الدنيوية والحقائق الايمانية لها مصدر واحد هو الله. وعلاوة على ذلك ان من يجتهد بثبات واتضاع في ان ينفذ الى أسرار الأشياء، تقتاده يد الله، على غير علم منه، لأن الله يعضد كل الكائنات ويجعلها على ما هي عليه"١١.

الغاية، إذن، هي الوصول الى الحقيقة بقطع النظر عن الوسيلة التي يتخذها الانسان. فكما الوسيلة الدينية، هكذا الوسيلة العلمية التي هي ايضاً طريق الى الحقيقة التي هي الله. والعلم طالما لا يرفض الحقيقة الدينية، طالما هو يساهم

١٠. قرار مجمعي في نشاط الكنيسة الارشاسلي، ١٥.

١١. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٣٦.

فعلياً في الكشف عن سرّ الله في خلقه وفي تدبيره لهذا الكون. ولقد بالغ الذين اعتبروا أن هناك تناقضاً بين العلم والدين، وبين الحقائق الايمانية والحقائق الدنيوية. فالجمع يؤكد على عدم التناقض طالما ان مصدرها هو الله الواحد الأحد الذي خلق كلّ شيء لمجده وخدمة الانسان. وهنا يكون الانسان في مسيرته الواعية على الطريق القويم الذي اختطّه له الله، إن بواسطة العقل أو بواسطة الوحي. لذلك لا خوف من التطوّر العلمي ومن التقنية إذا استعلمت جميعها لخير الانسان ولجد الله. وتحذير اجمع من الذين يعتقدون ان العلم يتناقض مع المعطيات الدينية هو تحذير في مكانه لأن العالم الحقيقي هو الانسان الذي استرشد بهدى عقله، والذي لا بُدَّ له، في النهاية، من الاقرار بان يد الله هي في كلّ شيء.

الفصل العاشر

الانسان والسياسة

إنه لمن الواضح ان الكلام على السياسة في الجمع الفاتيكاني الثاني لم يكن مقصوداً بحد ذاته مباشرةً، نظراً الى ان مملكة السيد المسيح ليست من هذا العالم، خصوصاً وهو القائل: "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، ولكن هذا الكلام كان استطراداً لأنّ المسيحي يعيش في هذا العالم ويجب عليه ان يشارك جميع البشر في شؤونهم الحياتية، سيّما وهو مكلف، الى حدّ ما، بان يكون ضمير المجتمع الذي يعيش فيه، والموجّه لأخوانه البشر لما فيه خير نفوسهم وخلاصهم الأبدي. وبهذا المعنى يقول الجمع بوضوح: "أجل ليست الرسالة التي سلّمها المسيح لكنيسته من طراز سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي: فالغاية التي وضعها لها هي من طراز ديني وينتج حقاً من هذه الرسالة الدينية مهمّة وأضواء وقوى من الممكن استخدامها لتكوين وتدعيم جماعة البشر وفقاً للشريعة الإلهية"^١. ولكن، في سبيل الخير العام، فانه على الكاثوليك ان يخدم المجتمع بما أُعطي من مواهب وخبرات، وان يوجه التوجيه الصحيح في الشؤون السياسية.

١. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٤٢.

وبهذا المعنى يقول المجمع ايضاً: "وعلى الكاثوليك ايضاً، من ذوي الخبرة في الشؤون السياسية، والذين وطّدوا كما يجب ايمانهم وعقيدتهم على أسس مكيّنة ألا يرفضوا إدارة الشؤون العامّة، فانهم إذا ما وجّهوها التوجيه اللائق استطاعوا خدمة الخير العام وتمهيد الطريق، في الوقت عينه، للإنجيل" ٢.

إذن، يقول المجمع، فعلى أولئك الذين لهم المؤهلات أن يتهيّأوا لممارسة فن السياسة الشديد الصعوبة والشريف جداً. ولينكبّوا عليه بغيرة دون ان ينشغلوا بمصلحتهم الذاتية أو بالفوائد المادية. وليحاربوا الظلم والطغيان والتعصّب والاستبداد بالفطنة والنزاهة من أي مصدر، من فردٍ أو من ضرب سياسي. وليضّحوا في سبيل خير الجميع لا بالصدق والاستقامة فقط، بل بالحبّ والاقدام اللذين تقتضيهما الحياة السياسية ٣. وإنّه من العدل التبشير بالايمان دائماً وفي كلّ مكان بحريّة حقّة وان تعلّم الكنيسة عقيدتها حول المجتمع متمّة، دون عوائق، رسالتها بين البشر. وإنه لعدل ايضاً ان تتمكن هذه الكنيسة من إصدار حكمها الأدبي حتى في القضايا التي لها علاقة بالحقل السياسي إذا اقتضت ذلك حقوق الشخص الأساسي بما فيها خلاص النفوس، مستعملة

٢. قرار مجمعي في رسالة العلمانيين، ١٤.

٣. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٧٥.

كلّ الوسائل أي تلك التي تطابق الانجيل فقط وتلاءم وخير الجميع وفقاً لتنوّع الأنظمة والظروف^٤. فالأنظمة السياسية هي في خدمة كرامة الانسان بالمحافظة على حقوقه الأساسية، مهما كان نوع هذه الأنظمة. والجمع يؤكد على ذلك بقوله: "فلتجتهد" إذن المؤسسات الخاصة والعامة لتكون في خدمة كرامة الانسان ومصيره. وبالوقت ذاته فلتقاوم هذه المؤسسات بقوة وفعالية كل نوع من الاستعباد الاجتماعي أو السياسي، ولتحافظنّ على حقوق الانسان الأساسية في ظلّ كلّ نظام سياسي^٥. وهذا كلّه بإمكان الكنيسة ان تقوم به لأنها لا تتقيّد بنظام سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي معيّن، ولكنها للجميع على حد سواء، وهي موضوع ثقة لأنها مجرّدة عن كلّ مصلحة خاصة، وجلّ اهتمامها هو تحقيق حرية الانسان في جميع الحقول. وحول ذلك يقول المجمع: "بما ان من رسالة الكنيسة وطبيعتها ألا ترتبط بأيّ شكل خاص من أشكال الثقافة ولا بأيّ نظام سياسي واقتصادي واجتماعي، تستطيع الكنيسة بصبغتها هذه الجامعة ان تكون صلة وثيقة بين الجماعات البشرية المختلفة وبين الأمم المتعدّدة، شرط أن يولوها الثقة ويعترفوا بها عملياً بجرية حقّة للقيام برسالتها"^٦. فنظراً لمهمّتها وصلاحتها لا تختلط

٤. المرجع نفسه، ٧٦.

٥. المرجع نفسه، ٢٩.

٦. المرجع نفسه، ٤٢.

الكنيسة بحال من الأحوال بالجماعة السياسية، ولا ترتبط بأي نظام سياسي. فهي إذن العلامة والضمانة لما يمتاز به الشخص البشري من تسام^٧. وهنا يكون اهتمامها لحماية الأقليات، ولتوجيه السياسة توجيهاً صحيحاً، وللمحافظة على الحرية الدينية، وللوقوف في وجه الحكام الظالمين، بغية رفع الخلافات السياسية التي تؤثر على مسيرة الإنسان اليومية. وبهذا المعنى يقول الجمع: "ويشتد الاهتمام، في ضمير الكثيرين، لحماية حقوق الأقليات ضمن البلاد، دون أن يهملوا مع ذلك إلزاماتهم تجاه الجماعة السياسية. وإلى جانب ذلك يكبر، يوماً بعد يوم، احترام الذين يجاهرون برأي أو دين مختلفين. وبالوقت عينه نشأ تعاون ولا يزال يتسع ليتأمن لجميع المواطنين لا إلى بعض المخطوظين فقط، التمتع الفعلي بالحقوق المرتبطة بالشخص. وتنبذ بالعكس كل الأشكال السياسية التي تقف حاجزاً في وجه الحرية المدنية أو الدينية، كما هي الحال في بعض الأقطار، وتريد من ضحايا أغراضهم وجرائمهم السياسية، فيحولون على السلطة لمصلحة البعض أو لمصلحة الحاكمين أنفسهم، بدلاً من أن يضعوه في خدمة الخير العام"^٨.

٧. المرجع نفسه، ٧٦.

٨. المرجع نفسه، ٧٣.

هذا التشديد على الجرائم السياسية ينبع من قناعة
الجمع على ان الخلافات السياسية هي السبب في ذلك،
فيستدرك قائلاً: "وبينما يشعر العالم شعوراً قوياً بوحدته
وبالارتباط المتبادل الذي يربط الجميع في تضامن ضروري،
فهناك يتنازع بقساوة تضاد القوى المتحاربة: فالخلافات
السياسية القاسية والاجتماعية والاقتصادية والعنصرية
والعقائدية لا تزال قائمة، كما أنه لا يزال مخيماً خطر حرب
تقدر على إفناء كل شيء"^٩. ويزيد قائلاً: "واذا قيّدت
ممارسة الحقوق مدّة من اجل الخير العام، فلتطلق الحرية في
أقرب ما يمكن عند تبدل الظروف. وعلى كلّ حال إنه لجورّ
ان تنهج الحكومة نهجاً كلياً أو دكتاتورياً ينتهك انتهاكاً
خطيراً حق الاشخاص أو الفئات الاجتماعية"^{١٠}. فالجماعة
السياسية والكنيسة مستقلّتان، لا ترتبط الواحدة بالآخرى في
الحقل الخاص بكلّ منهما. غير أنّهما تقومان، وإن بميزات
مختلفة، بخدمة الدعوة الفردية والاجتماعية للناس ذاتهم.
وإنهما لتقومان بهذه الخدمة لخير الجميع وبمزيد من الفعالية
بقدر ما تحاولان دائماً أن تتعاونتا تعاوناً صحيحاً^{١١}. كما أنه
على العلمانيين أن يحسنوا استخدامهم للشؤون الزمنية
والسياسية، وان ينظّموا مؤسساتهم، متنبّهين الى الخير العام

٩. المرجع نفسه، ٤.

١٠. المرجع نفسه، ٧٥.

١١. المرجع نفسه، ٧٦.

حسب مبادئ تعليم الكنيسة الأدبي والاجتماعي. وإليهم يعود أمر تنسيق العناصر الاقتصادية والسياسية والفنية بحيث لا تتعارض مع الخير العام. وعلى السلطة المدنية ان تحرص على ألا يلحق ضيم بمساواة المواطنين القانونية - لأن المساواة مرتبطة بخير المجتمع العام - خفية كان ذلك أم علناً لأسباب دينية، ولتحرص ايضاً على ألا يحدث بينهم أي تمييز^{١٢}. وعليه، يقول الجمع، "فلأجل إرساء حياة سياسية حقاً إنسانية، ما من شيء أهم من إغناء معنى العدل في ضمير الانسان ومعنى الحنو والتضحية في سبيل المصلحة العامة؛ ما من شيء أهم من تقوية اليقين الأساسي حول طبيعة الجماعة السياسية الحققة وحول غاية السلطة العامة وحسن ممارستها وحدودها"^{١٣}.

فالكنيسة، إذن، تأسف للتمييز في المعاملة بين مؤمنين وغير مؤمنين الذي تقوم به بعض السلطات المدنية بطريقة ظالمة، محتقرة لحقوق الانسان الأساسية. وبما أن أساس الجماعة السياسية والسلطة العامة هو في الطبيعة البشرية، وكلتاها مرتبطتان بنظام حدّده الله، غير أن تحديد نوع الحكم السياسي وتعيين القادة متروكان لحرية المواطنين واراדתهم. فينتج من هذا ان تتم دائماً ممارسة السلطة

١٢. بيان في الحرية الدينية، ٦.

١٣. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٧٣.

السياسية في الجماعة نفسها أو في الأجهزة التي تمثل الدولة، ضمن حدود النظام الأدبي ومن أجل المصلحة العامة، التي يجب ان تكون بطريقة ديناميكية، ووفقاً لنظام قانوني وُضع أو يجب وضعه بطريقة شرعية. وإذا تجاوزت السلطة العامة صلاحيتها وظلمت المواطنين، فليس لهؤلاء ان يرفضوا ما تقتضيه المصلحة العامة بطريقة موضوعية. ولكن يجب ان يسمح لهم بالدفاع عن حقوقهم وحقوق مواطنيهم ضدّ جور السلطان، شرط أن يحترموا الحدود التي رسمتها الشريعة الطبيعية والشريعة الانجيلية. وأما الطرق الواقعية التي تستخدمها الجماعة السياسية لإرساء قواعد تكوينها وللمحافظة على توازن السلطات العامة فيمكن ان تكون متنوعة وفقاً لكلّ شعب، ولعبريته الخاصة، ولسير التاريخ. ولكن يجب ان تكون هذه الطرق وسيلة لتنشئة إنسان مثقف يحبّ السلام، لطيفاً مع الجميع، وذلك لمنفعة العائلة البشرية بأسرها^{١٤}. ويستدرك الجمع قائلاً: "أما المواطنون، افراداً كانوا أم جماعات، فليتحاشوا ان يمنحوا السلطات العامة سلطاناً لا حدّ له، ولا يخاطبوها في غير حينه مطالبين بمساعدات ومنافع باهظة، مقللين من مسؤولية الافراد والعائلات والفئات الاجتماعية"^{١٥}. فالتحويلات الجذرية في أنظمة الشعوب وهيكلاتها تؤثر في الحياة السياسية، خاصة

١٤. المرجع نفسه، ٧٤.

١٥. المرجع نفسه، ٧٥.

في ما يتعلق بحقوق كلّ فرد وواجباته في ممارسة الحرية المدنية والسعي وراء الخير العام، وتنظيم العلاقات مع السلطات العامة. لذلك يجب نبذ كل الأشكال السياسية التي تقف حاجزاً في وجه الحرية الدينية والمدنية، والتي تزيد من الضحايا والجرائم، وتكون الأمور لمصلحة الحاكمين أنفسهم بدل من ان تكون في خدمة الخير العام. لكنّ الكنيسة تعتبر، من جهتها، اعتباراً جليلاً، وتقدير تمام التقدير نشاط اولئك الذين يتكرّسون لخير الدولة ويؤمنون مهامها خدمة للجميع^{١٦}. وكما اعترف المسيح بالسلطة المدنية الشرعية اعترف بها الرسل ايضاً: فالرسول يعلم أن لا سلطة إلا من الله. ولقد أمر بالتالي: "ليخضع كل واحد للسلطات المنصّبة... ومن يقاوم السلطان إنما يعاند الله" (روم، ١٣: ١-٢)، ولكنهم بالوقت نفسه لم يخافوا من مقاومة السلطات العامة التي كانت تقاوم مشيئة الله المقدسة لأن "الله أحقّ من الناس بالطاعة" (أعمال، ٥: ٢٩). غير ان الخير العام للمجتمع، أي مجمل ظروف الحياة الاجتماعية التي يستطيع الناس بواسطتها أن يبلغوا الكمال الذاتي بطريقة أكمل وأسهل، يقوم، بادئ ذي بدء، بالمحافظة على حقوق الشخص البشري وواجباته. ولذلك فالاهتمام بهذا الحق، حق الحرية الدينية، يقع على المواطنين والهيئات الاجتماعية، على السلطات المدنية والكنسية وسائر

١٦. المرجع نفسه، ٧٥.

الجماعات الدينية، كل على طريقته الخاصة وحسب واجباته تجاه الخير العام. وإنه لواجب جوهرى على كل سلطة مدنية ان تدافع عن حقوق الانسان التي لا تمسّ وتشجعها. فعليها إذن ان تحامي عن حرية المواطنين الدينية جميعاً بصورة فعّالة، بشرائع عادلة وبوسائل اخرى موافقة. كما ان عليها ان توفر الظروف المواتية لإنماء الحياة الدينية حتى يتمكن المواطنون من ممارسة حقوقهم فعلياً وتتميم واجباتهم الدينية، فينعم المجتمع نفسه بخير العدل والسلام الناتجة عن أمانة الناس لرّبهم ولمشيئته المقدّسة^{١٧}. وعلى السلطة المدنية ان تحرص على ألاّ يلحق ضيم بمساواة المواطنين القانونية، لأن المساواة مرتبطة بخير المجتمع العام، لأسباب دينية، ولتحرص ايضاً على ألاّ يحدث بينهم أي تمييز. ونتيجة لذلك لا يجوز للسلطات العامة أن تستعمل القوة والتخويف أو مسائل اخرى لتفرض على المواطنين المجاهرة بالديانة أو رذها، أياً كانت تلك الديانة، أو لتمنع أحداً من الانضمام الى جماعة دينية أو تركها^{١٨}. وبما ان للمجتمع المدني الحق في أن يكون بمأمن من التجاوزات التي قد تنشأ بحجة الحرية الدينية، فمن اختصاص السلطة المدنية ان تؤمّن هذه الحماية. ولكن يجب ألاّ تتمّ اعتباطياً، فتعاون احد الطرفين بصورة ظالمة، بل وفقاً للأنظمة القانونية المطابقة للنظام الأدبي الموضوعي، تلك

١٧. بيان في الحرية الدينية، ٦.

١٨. المرجع نفسه، ٦.

الأنظمة التي تقتضيها صيانة فعّالة لحقوق المواطنين جميعاً الى جانب مجانسة هذه الحقوق بطريقة سليمة والاهتمام الكافي بهذا السلام العام الشريف الذي يقوم بالتعايش الموّطد على العدالة الحقّة والحفاظ الواجب على الاخلاق العامة^{١٩}.

من جهة اخرى، فان السلطات المدنية ليس لها الحق في فرض تحديد النسل انطلاقاً من مبادئ اجتماعية وحياتية، بل عليها احترام الشريعة الطبيعية التي سنّها الله، وعليها ايضاً الاهتمام بتأمين حاجيات البشر، وذلك بصفتها المسؤولة عنهم أمام الله وامام التاريخ. وبهذا المعنى يشدّد المجتمع قائلاً: "بما ان كثيرين يؤكّدون ان نموّ السكان العالمي، أقلّه في بعض البلدان، يجب ان يوقف بطريقة جذرية، مهما كانت الوسائل أو التدابير التي تتخذها السلطات العامة، يحضّ الجميع الناس ليحذروا الحلول المنادى بها جهاراً أو سراً التي تفرض في بعض الأحيان فرضاً وتناقض الشريعة الأدبية. فموجب حق الانسان في الزواج وانجاب البنين، ذلك الحق الذي لا ينقض، يخضع التقرير المتعلّق بعدد الأولاد وانجابهم لحكم الأبوين المستقيم ولا يمكن على الاطلاق ان يترك لتقدير السلطات العامة"^{٢٠}. فالسلطات المدنية صلاحيتها محدودة امام الشريعة الالهية، وليس لها، انطلاقاً من مفهومها

١٩. المرجع نفسه، ٧.

٢٠. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٨٧.

السياسي، ان تتصرّف بحياة الانسان كما تشاء ولأجل مصالح خاصة. فوعي الناس، في عصرنا، لكرامة الانسان البشري يتزايد يوماً بعد يوم، وعلى السلطة المدنية، التي غايتها الخاصة الاهتمام بالخير العام الزمني ان تعترف بحياة المواطنين الدينية وتشجيعها، خصوصاً عندما يتعلق ذلك بمفهوم الانسان لدوره الخلاصي من خلال مسيرة الخلق.

ونخلص الى القول، انطلاقاً من كلّ ما تقدّم، ان المجمع يؤكّد على حرية الفرد الانساني في مجال حياته السياسيّة، سيّما وان السياسة هي لادارة شؤون الناس، رغم ان مملكة المسيح ليست من هذا العالم. وعلى المسيحيين، وبنوع خاص الكاثوليك، ان يساهموا مساهمةً فعّالة في السياسة، وفي ادارة شؤون الأُمّة، خصوصاً وان عليهم ان يزرعوا بذور الروح المسيحيّة في قلب كلّ مواطن. وإنّه لمن الضروري ان يُبنى المجتمع على أسس سليمة لكي يكون مجتمعاً فاضلاً، ولكي يكون احترام الانسان على أساس كلّ المبادئ السياسية التي تتوجّه بها المجتمعات عامّة، وبالتالي ان تكون الحرية الدينيّة هي الميزة الاساسيّة لهذه المجتمعات. وليس عدلاً ان تظلم فئة على حساب فئة اخرى، او ديانة على حساب ديانة اخرى، بل على العكس إنه واجب احترام جميع الديانات والمعتقدات والتوجّهات السياسية نفسها. فالانسان سياسيّ بطبعه، ومجال عمله في المجتمع هو مجال

السياسة نفسها، وكرامته لا تحترم إلا ضمن النظام العادل والمتكامل. والمجمع يشدد على هذه النقطة لأنه يرى الظلم في أنظمة عديدة في هذا العالم. فالإنسان أخو الإنسان في الخلق، والجميع هم أبناء الله، ولا أفضلية لواحد على الآخر إلا بالتزامه الديني والاجتماعي والسياسي النابع من احترام الفرد وتحقيق حريته وكرامته في هذا العالم.

الفصل الحادي عشر

الانسان والاقتصاد

"على المسيحيين ان يعملوا ويساهموا مع كل الآخرين في القضايا الاقتصادية والاجتماعية كي ينظموا تنظيمًا صحيحًا"^١.

هذا المقطع من القرار الجمعي في نشاط الكنيسة الارسالي يدخلنا في صميم الدور الذي يجب ان يلعبه المسيحيون ويساهموا به مع جميع البشر في ما يختص بالشأن الاقتصادي والاجتماعي لكي يكون تنظيمها تنظيمًا صحيحًا ومتكاملاً، وعلى فائدة كبيرة للبشرية جمعاء. فانشاء المؤسسات في الحياة الاجتماعية له الطابع الانساني المسيحي بقدر ما له الطابع الاقتصادي، وعلى ذلك فان دور المسيحيين هو دور بناء نظراً لما يقدمونه من تعاون أساسي لكمال المجتمع الذي يعيشون فيه أو هم مسؤولون عنه. من هنا فان الجمع يؤكد من جديد قائلاً: "على العلمانيين المسيحيين ان يقدموا بطيبة خاطر التعاون الاقتصادي والاجتماعي للشعوب التي هي في طريق التطور. وان هذا

١. قرار جمعي في نشاط الكنيسة الارسالي، ١٢.

التعاون ليستحق المديح بقدر ما يهدف الى إنشاء المؤسسات التي تتناول البنيات الأساسية في الحياة الاجتماعية أو بقدر ما ترمي الى تنشئة أولئك الذين بين أيديهم مسؤولية الدولة^٢. فالمسؤولية إذن هي على عاتق المسيحيين قبل غيرهم، والبناء الصحيح، اقتصادياً واجتماعياً، هو بناء الرؤية المسيحية التي تتبع من احترام الانسان وتقديره، ومن تأصيل حقوقه في المجتمع الذي يعيش فيه وهو مجتمع يقوم على الحياة الاقتصادية كما يقوم على الحياة الاجتماعية والدينية. من هنا، فان عمل المسيحي هو عمل تحرري وليس عملاً استعبادياً، وهو وحده قادر على ابعاد استعباد الاقتصاد كما يقول المجمع في ما يأتي: "ان الشعوب الآخذة في النمو والأمم التي نالت حديثاً استقلالها تريد ان تأخذ نصيبها من منافع الحضارة العصرية إن على المستوى الاقتصادي وان على المستوى السياسي، كما انها تريد ان تلعب حرة دورها على مسرح العالم. ومع ذلك لا يزال الفارق يزداد بين هذه الأمم والأمم التي توافرت ثروتها وازدهرت بسرعة، ونتيجة لذلك غالباً ما تستعبد هذه الأمم دون استثناء الاستعباد الاقتصادي"^٣. فتحرر الانسان هو المقصود في هذا النص، سيّما وان الاستعباد الاقتصادي هو استعباد أشدّ هولاً من أي استعباد آخر. والانسان الذي لا تكون له امكانيات

٢. المرجع نفسه، ٤١.

٣. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٩.

العيش الحرّ هو انسان منقوص حتى في هويته وفي مجالات اعماله الحياتية. يبقى دائماً عرضة للضغط النفسي، وعرضة لتلاعب الحياة والمجتمع به. من هنا دوره الفعّال في تحقيق التوازن الاقتصادي والحياتي، خصوصاً وان الخلافات السياسية والاجتماعية والعنصرية والعقائدية هي الخطر الحقيقي على هذا التوازن. لذلك نبّه الجمع بقوله: "وبينما يشعر العالم شعوراً قوياً بوحدته وبالارتباط المتبادل الذي يربط الجميع في تضامن ضروري، فهناك يتنازع بقساوة تضاد القوى المتحاربة: فالخلافات السياسية القاسية والاجتماعية والاقتصادية والعنصرية والعقائدية لا تزال قائمة، كما أنه لا يزال مخيماً خطر حرب تقدر على افناء كل شيء"^٤.

هذه الخلافات هي سبب جوع القسم الأكبر من الانسانية، على الرغم من ان الثروات الطبيعية تعم الارض، ولكن احتكار الأقوى لها هو الذي يهدّد دولاً وشعوباً بالجماعة. من هنا تنبيه الجمع قائلاً: "إن البشرية اليوم لفي تخمة من ثروات وإمكانات وقوة إقتصادية لم تعيشها كما سلف في تاريخها، ومع ذلك فان ناب الجوع والشقاء يعضّ اليوم قسماً مهماً من سكان الارض، عدا الكثيرين من ابناء

٤. المرجع نفسه، ٤.

البشر الذين يجهلون الكتابة والقراءة"^٥. لذلك نرى المجمع، تجاه هذه الحالة المؤسفة، يعلن الصوت مطالباً بتحسين اوضاع الحياة بان يقوم كلّ انسان بواجبه كاملاً. وفي هذا المعنى يقول: "عندما يساهم كل واحد في الخير العام، حسب امكاناته الخاصة، ووفقاً لحاجات الآخرين، ويهتم عملياً بنهضة وانطلاقة المؤسسات العامة أو الخاصة التي تهدف الى تحسين أوضاع الحياة البشرية، يتم عندئذٍ أحسن فأحسن واجباته في ما يختص بالعدالة والمحبة"^٦.

هذه المساهمة في الخير العام هي من تصميم الله وتديره. فالانسان عليه ان يقوم بواجبه الانساني تجاه الله وضميره، وتجاه اخوانه في الخلق الذين ينتظرون منه المساعدة الفعّالة. وبهذا المعنى يقول المجمع أيضاً: "ان المؤمنين متأكدون من شيء وهو ان النشاط الانساني إذا نظرنا إليه بحدّ ذاته، افرادياً كان أم جماعياً، يتجاوب وتصميم الله. وهذا النشاط هو مجهود جبّار، ينهمك به الناس على مرّ العصور لتحسين أوضاع حياتهم"^٧. وهذا المجهود الذي ينهمك به الناس هو لجعل كرامة الانسان كاملة، وبالتالي لتكملة مسيرة الخلق تحت نظر الله، وكما ارادها لتحرير

٥. المرجع نفسه، ٤.

٦. المرجع نفسه، ٣٠.

٧. المرجع نفسه، ٣٤.

الانسان من كل عبودية مادية كما حرّره من العبودية الداخلية. لذلك من الواجب توجيه قوّة العقل بالعلم والثقافة الى خدمة المجتمع دون تبديل في الاوضاع الحياتية. واجمع إذ يؤكد على ذلك ينبّه بقوله: "من الواجب ان توجه العناية لتأمين انتشار الثقافة انتشاراً أوسع، باستخدام الوسائل المهمة التي هي بتصرّف البشرية اليوم، وذلك لكي يتسلّح كلّ واحد تسلّحاً أوفى لمجابهة المسؤوليات، ان تجاه نفسه وان تجاه الفئات المختلفة. غير ان الانسان يتوصل بصعوبة فائقة الى هذا الحدّ من المسؤولية إن لم تسمح له أوضاع الحياة بان يدرك أن له كرامة، وان لم تسمح له بأن يلبي دعوته بتفانيه في خدمة الله وخدمة أمثاله"^٨.

نلاحظ هنا ان محور كلام الججمع هو دائماً خدمة الله والبشرية والحفاظة على كرامة الانسان. فكرامة الانسان بالذات تنبع من خدمة الله ومن خدمة البشرية لأن الله خلقه ليتكامل مع غيره من مخلوقاته. أمّا وان لم يتحقق ذلك فانما يعود الى اوضاع العمل التي تحطّ من قيمته في مسيرته الحياتية. لذلك نبّه الججمع قائلاً: "ان كل ما يضاد الحياة نفسها... ان كل ما يشكل انتهاكاً للانسان بكامله... ان كل ما يسيء الى كرامة الانسان كأوضاع الحياة المنحطة والسجن دون مبرّر والسبي والاستعباد والبغاء والمتاجرة

٨. المرجع نفسه، ٣١.

بالنساء والاولاد؛ وايضاً أوضاع العمل المحقرة، التي تحوّل العامل الى مجرد آلة، دون أي اعتبار لشخصيته وحرية ومسؤوليته: ان كل هذه التصرفات والعادات التي ذكرنا وما يشبهها هي في الواقع مشينة"^٩. فهذه جميعها تحطّ من كرامة الانسان بدل ان ترفعه لكي يكون متفرّغاً، في اوقاته الحرة، لعبادة ربّه وللتوجّه بتعاليمه السماوية. وعلى الرغم من ان اجمع يعي ان الظروف الاقتصادية والاجتماعية قد تبدّلت وتغيّرت عادات البشر ونظام القيم في نظرهم، فانه يلفت النظر الى ان كثيرين لهم الامكانيات لدفع الانسانية الى الامام، غير أنهم لا يفعلون. من هنا قوله في ذلك: "بينما يملك عدد قليل من الناس سلطة واسعة في التقرير، يحرم الكثيرون تقريباً من كل إمكانية لبادرة شخصية أو لمسؤولية. وغالباً ما يتزكون في اوضاع حياة وعمل لا تليق ابداً بالشخص البشري"^{١٠}. لذلك، على البشر ان تكون لهم المبادرة جميعهم لتحسين اوضاعهم واوضاع من هم مسؤولون عنهم: فالاصلاحات ضرورية، وهي تساعد على الحفاظ على كرامة الانسان، وبالتالي توطّد الرابط الأخوي بين جميع الشعوب. وبهذا المعنى يقول ايضاً: "فالاصلاحات إذاً أمر واجب. إنها لتهدف، حسب كل حالة، الى مضاعفة المداخل والى تحسين أوضاع العمل وضمّانه، كما تهدف

٩. المرجع نفسه، ٢٧.

١٠. المرجع نفسه، ٦٣.

ايضاً الى تشجيع المبادرة وحتى الى توزيع الممتلكات غير المستعملة كما يجب، ليفيد منها أولئك الذين يقدرّون ان يستغلّوها"١١. وما الأفادة هنا سوى افادة جماعية، يتقاسمها أبناء الارض بتساوٍ اخوي، لا بتسلّط وباستعباد.

نلاحظ هنا ان المجمع يردّد دائماً كلمة استعباد لأن المسيح نفسه جاء الى الارض ليجعل الناس اخوة متساوين في كلّ شيء. فعبودية المادة هي كعبودية الروح، والذي لا يكون حرّاً في عيشه، لا يكون حرّاً في ايمانه ومعتقده. وكم كانت البشرية جائرة عندما كان أهل دين معيّن يفرضون على آخرين من غير دينهم ليتبعوهم في معتقدهم حتى يسمح لهم بالعمل وبالتملك. والتاريخ حافل بذلك. من هنا نرى ان أدياناً انقرضت في مناطق من الارض وذلك بسبب فرض اعتقاد المتسلّطين. وهذا ما ينبّه إليه المجمع، حتى على الصعيد الاقتصادي والحياتي، إذ يقول: "فليترّب الاولاد بطريقة يستطيعون معها، متى اصبحوا بالغين وواعين تماماً مسؤولياتهم، ان يتبعوا دعوتهم بما فيها الدعوة الدينية، ويختاروا نمط حياتهم. ولكي يستطيعوا، إذا تزوّجوا، ان يؤسّسوا عائلاتهم بالذات ضمن أوضاع أدبية واجتماعية واقتصادية مؤاتية"١٢. فتربية الاولاد لكي يتحمّلوا

١١. المرجع نفسه، ٧١.

١٢. المرجع نفسه، ٥٢.

مسؤولياتهم في المجتمع هي تربية روحية واجتماعية على حد سواء، لأن الحياة المعيشة هي امتداد للحياة مع الله بالايمان وبالروح. واختيار نمط الحياة هو اختيار حرّ من خلاله يعيش الانسان اهدافه العليا وسموّ نظرتة الى الكون والعالم من خلال الله. لذلك يؤكّد المجمع على العلاقات البشرية القائمة بين الشعوب، وعلى الاوضاع والظروف التي تساعد في التطوّر وفي الانفتاح. وبهذا المعنى يقول: "بما ان العلاقات البشرية أخذت تتأصل وتنتشر رويداً رويداً لنعم الكون بكامله، أخذ الخير العام - والخير العام هو مجموعة أوضاع وظروف تسمح للجماعات ولكلّ فرد من افرادها بالوصول الى الكمال بطريقة أكثر شمولاً وسهولة - أخذ اليوم ينتشر ويتسع أكثر فأكثر. ومن ثم فانه يحوي ضمن طيّاته حقوقاً وواجبات تتعلق بالجنس البشري بأسره"١٣. فهذه الحقوق والواجبات هي التي تركز وحدة المجموعة البشرية في ظروف وأوضاع تسمح للجماعات والافراد بان يكونوا بمستوى ما يريده الله لهم من خير في الحياة المادية كما في الحياة الروحية. وعلى ذلك فان توطيد هذه العلاقات البشرية يكون على أسس التساوي لكي يفهم الانسان أنه عنصر فاعل في مجتمعه وليس عالة عليه. وعلى الرغم من التطوّر الذي يلحظه العالم والذي يتمّ بسرعة في هذا القرن، ينبّه المجمع الى التناقضات وعدم التوازن والمنازعات التي لم تنزل

١٣. المرجع نفسه، ٢٦.

تذرّ قرنهما اينما كان. لذلك يلفت المجمع الى: "ان تطوّرًا يتم بهذه السرعة غالباً دون نظام، أضف الى ذلك ادراكاً مرهقاً للمنازعات التي يتألم منها العالم، كلّ ذلك يولد التناقضات وعدم التوازن ويزيد في اتساعها... وهناك تؤثر في قلب العائلة يعود إمّا الى ثقل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وإمّا الى صراع الاجيال المتعاقبة وإمّا الى العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تقوم بين الرجال والنساء" ١٤.

إذن، هذا التطوّر الملفت الذي يشهده العالم يجب ان يستفيد منه الانسان دون الوقوع في الصراعات والنزاعات التي تهدم والتي تؤخر مسيرة الانسانية الساعية الى السعادة والى البهجة التي أرادها الله لها من خلال مجاراتها في سعيها الى الخلاص. وعليه، فان الانقاذ ضروري، وعلى المسيحيين العمل دون هوادة لتوطيد الحق ولحفظ كرامة الانسان كاملة. لذلك نرى المجمع ينبه بقوله: "بما اننا نستطيع اليوم انقاذ أكثرية الناس من آفة الجهل، هناك واجب يليق الى اسمى حد بعصرنا وخاصة بالمسيحيين: وهو ان نعمل دون هوادة إن مادياً وإن سياسياً، إن على المستوى الوطني وان على المستوى الدولي، كي تتخذ التقارير الجذرية التي من شأنها أن تقود الى الاعتراف بحق الجميع وفي كلّ

١٤. المرجع نفسه، ٨.

مكان، حق في الثقافة وان تؤمن تحقيقه، وذلك وفقاً لكرامة الشخص البشري، دون تمييز في العرق أو الجنس أو الأمة أو الديانة أو الوضع الاجتماعي^{١٥}. فهذا الحق المرتكز على كرامة الشخص البشري يطال إذن العرق والجنس والأمة والديانة والوضع الاجتماعي، خصوصاً إذا لم تكن هناك تفرقة على هذا الصعيد. فالتفرقة هي التي تهدم الانسان والمجتمع، وهي التي تبعد البشر عن بعضهم البعض، وهي التي تقف حاجزاً في طريق التطور الفعلي الذي ينمي في كلّ فرد مواهبه التي بإمكانه ان يخدم مجتمعه من خلالها. وليس ضرورياً التشديد على ذلك لأن الحق وحده هو الذي يفرض ذاته، والحق هنا نابع من كرامة الانسان التي جلبه بها الله يوم خلقه. والجمع الذي يشدّد على هذه الكرامة، فما ذلك إلاّ لأنّه يراها منقوصة في عالمنا اليوم، خصوصاً عندما يرى التدهور والتقهقر في الاوضاع الاجتماعية. وإذ يذكر بذلك يقول: "ففي الوقت الذي قد يسمح فيه نموّ الاقتصاد، الموجه والمنظم بطريقة عقلية وإنسانية، بالحد من عدم المساواة الاجتماعية، غالباً ما يقود الى تدهور، ويقود ايضاً هنا وهناك الى تقهقر في وضع الضعفاء الاجتماعي والى الازدراء بالفقراء"^{١٦}. واستدراكاً لهذا التدهور ولهذا التقهقر، فان التنشئة المسؤولة هي العلاج الأساسي، وتحسّن الاوضاع هو

١٥. المرجع نفسه، ٦٠.

١٦. المرجع نفسه، ٦٣.

الركيزة الاساسية أقله في الشأن الديني والشأن الاجتماعي. والمجمع يستدرك ذلك بقوله: "بما ان حكم الآباء يفترض ضميراً صحيح التنشئة، إنه لفي بالغ الأهمية ان يتوفر للجميع البلوغ الى مستوى من المسؤولية، مطابق لآداب وانساني حقاً، يحسب حساباً للشريعة الالهية، دون ان يهمل الظروف بجملتها، وهذا يفترض ان تتحسن الوسائل التربوية والاوزاع الاجتماعية في كل مكان تقريباً فتصبح ممكنة، في بادئ الأمر، التنشئة الدينية أو أقله التربية الأدبية التي لا نقص فيها" ١٧.

لماذا هذا التشديد من قبل المجمع على الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالنسبة الى مسيرة الانسان، والى المحافظة على كرامته؟ إنه تأكيد من قبله على ان الحياة المادية والروحية هي مترابطة بوحدها التي خلقها الله. فالتأثير المادي هو فاعل في الروح، وعدم تركيز الحياة الاجتماعية يجعل الانسان في صراع مستميت. والنشاط الانساني هو تجاوب مع تصميم الله، فاذا لم يتحقق بنبل وسمو يشكّل خطراً كبيراً على الخلاص. والقيم الثقافية هي التي تدفع بالتقدم الى الأمام. وتركيز العقل البشري هو الذي يوطد الأهداف السمية لحقيقة الوجود. والعلوم هي التي تساعد للسيطرة على خيرات الارض لتكون في خدمة الانسان. من هنا يقول

١٧. المرجع نفسه، ٨٧.

المجمع: "ان زعزعة العقول الحالية وتغيير أوضاع الحياة مرتبطان بتبديل كلي يهدف، في تنشئة العقل، الى سيطرة العلوم الرياضية والطبيعية أو البشرية. وأما على مستوى العمل فهو يعطي السيادة للتقنية، بنت العلوم" ١٨. فالسيادة التقنية يخاف منها المجمع لأنها تساهم في تشويه الصورة الحقيقية لمسيرة الانسان إذ ربّما تدفعه للاستغناء عن الله وعن المسيرة الروحية. وهنا يبدأ التشكيك بالقيم والتعلّق بما هو ماديّ وحسب، وذلك لأن الاقتصاد يسيطر على بعض الناس ويجعلهم يعيشون بعيدين عن الله. وبهذا المعنى يقول المجمع: "كثيرون هم الذين يبدون وكأنّ الاقتصاد يسيطر عليهم، لا سيّما في مناطق العالم النامية اقتصادياً. إن حياتهم كلها تقريباً الشخصية والاجتماعية مرتوية من "فلسفة اقتصادية"، وذلك ايضاً في البلدان التي تجذ الاقتصاد الجماعي كما في البلدان الاخرى. ففي الوقت الذي قد يسمح فيه نمو الاقتصاد، الموجه والمنظم بطريقة عقلية وانسانية، بالحد من عدم المساواة الاجتماعية، غالباً ما يقود الى تدهور، ويقود ايضاً هنا وهناك الى تفهقر في وضع الضعفاء الاجتماعي والى الازدراء بالفقراء" ١٩. فهذا الازدراء بالفقراء والضعفاء إنّما ينتج من تسلّط الممتلكين ومن احتكارهم لخيرات الارض، الأمر الذي ترفضه الكنيسة

١٨. المرجع نفسه، ٥.

١٩. المرجع نفسه، ٦٣.

جملة وتفصيلاً، وبالتالي تنبّه الى خطره الذي جعل من عشرين بالمائة من الناس يعيشون في مجبوحة، بينما الثمانون بالمائة يعيشون في عوز دائم. لذلك تدعو الكنيسة الى العدل والانصاف، والى عدم التفرد بخيرات الارض من قبل القوى المسيطرة. والمجمع ينبّه قائلاً: "... لقد أوضحت الكنيسة، عبر الاجيال، وعلى ضوء الانجيل، مبادئ العدل والانصاف التي يقرّها العقل الصحيح إن للحياة الفردية والاجتماعية وإن للحياة الدولية. ولقد أعلنتها خاصة في الأزمنة الأخيرة. واعتباراً للوضع الراهن يريد المجمع ان يشبّتها ويعين بعض التوجيهات معتبراً اعتباراً خاصاً مقتضيات الانماء الاقتصادي" ٢٠.

وأما هذا الانماء فيجب ان يبقى تحت مراقبة الانسان لكي لا تسيطر قلة قليلة على مقدرات الارض، خصوصاً القوة السياسية التي تستغل الشعوب من مجرد استلامها الحكم. وعليه، يقول المجمع: "يجب ان يظلّ الانماء خاضعاً لمراقبة الانسان، فلا يترك تحت تصرف عدد قليل من الناس أو جماعات تتمتع بقوة اقتصادية هائلة لتصرف به على هواها. كما انه يجب ألا يترك بتصرف الجماعة السياسية أو بعض الدول الأكثر قدرة من غيرها... ولا يمكن ان يترك الانماء لعبة شبه آلية بين أيدي الافراد في نشاطهم الاقتصادي

٢٠. المرجع نفسه، ٦٣.

ولا بين أيدي السلطات العامة"٢١. فاذا ما ترك هذا الاقتصاد بين أيدي القلّة المسيطرة وقع الخلل بين الشعوب، وتماهى الانسان في السيطرة على أخيه الانسان، وعمّ الجوع شعباً ودولاً بكاملها كما هو حاصل اليوم، وانتقصت شريعة الله التي جعلت كلّ شيء في خدمة البشرية لا في خدمة البعض. من هنا فان الجمع يشدّد ويكرّر بعنف ملموس، وهو عنف الحق، ليلفت النظر الى الشعوب الجائعة التي تنتظر العون من المتسلطين في العالم. وإذ يؤلمه ما يرى، ينبّه قائلاً: "إزاء هذا العدد الوفير من الجائعين في انحاء العالم كافة يلحّ الجمع على الجميع بما فيهم السلطات ليذكروا كلام الآباء هذا: "اعط الطعام لمن يموت جوعاً، فان لم تطعمه تكون قد قتلت". فليتقاسموا الخيرات وفقاً لامكانيات كلّ واحد وليستعملوها حقاً موفرين قبل كلّ شيء للأفراد والشعوب الوسائل التي تسمح لهم بأن يتعاونوا ويتطوّروا"٢٢.

إن تقاسم الخيرات هو حقّ طبيعي وإلهي على حدّ سواء. فالله الذي خلق هذه الخيرات، خلقها لجميع الناس وليس لفئة معيّنة كما يدّعي بعض المتألهين والمسيطرين. والنموّ الحاصل في بعض البلدان التي توصّلت الى تقدّم كبير

٢١. المرجع نفسه، ٦٥.

٢٢. المرجع نفسه، ٦٩.

من خلال التقنيّة يجب ان يساهم في نموّ الشعوب كلّها، انطلاقاً من التنشئة الداعية للمواطنين، ومن تركيز الخبراء الذين بإمكانهم السهر على هذا النمو. وإذ يحدّد المجمع هذا الدور الفعّال يقول: "يرتبط نموّ أي بلد كان بموارده الانسانيّة والماليّة. فعلى التربية والتنشئة المهنيّة ان تعدّا المواطنين في كل بلاد ليواجهوا المهام المتنوعة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وهذا يتطلب مساعدة الخبراء الأجانب. لكن على من يؤدون هذه المساعدة أن يسلكوا كمعاونين ومساعدين لا كأسياد. واما المساعدة المادية فلا يمكن تقديمها الى البلدان الآخذة في النموّ دون تعديلات جذريّة في العادات المتبعة حالياً في التبادل التجاري العالمي. وهناك موارد اخرى يجب ان تأتيها من الأمم المتطوّرة بشكل هبات أو قروض أو توظيف الرساميل. فمن جهة يجب أن تؤدّي هذه الخدمات بسخاء لا طمع فيه وان تُقبل بكل نزاهة من جهة اخرى" ٢٣.

أن تؤدّي هذه الخدمات بسخاء لا طمع فيه، وان تقبل بكل نزاهة، فهذا يعني بالنسبة الى المجمع ان كلّ تطوّر على الصعيد الاقتصادي يجب ان يطال الانسان في كلّ مجموعة بشرية. فخيرات الارض للجميع، وخصوصاً لخدمة الانسان بكليته، كما يقول المجمع: "غير ان الغاية الاساسية من انتاج

٢٣. المرجع نفسه، ٨٥.

كهذا ليست ازدياد الخيرات المنتجة فقط، ولا الكسب أو السيطرة، إنّما الغاية هي خدمة الانسان: الانسان بكليته، وفقاً لتدرج حاجاته المادية ووفقاً لمقتضيات حياته العقلية والاخلاقية والروحية والدينية. خدمة الانسان، وبذلك نعني كلّ انسان وكل جماعة من الناس دونما تمييز في العرق أو الوطن"٢٤. فخدمة الانسان إذن هي المقصودة. ولا تطوّر إلا في سبيل هذه الخدمة. والله خلق كلّ شيء لخدمة هذا الانسان، وحتى المادي منه لأنه يريد ان يعيش في بحوحة وراحة وسعادة. وإذا أدّى هذا الانتاج رسالته بالنسبة الى المجموعة البشرية، ساد التوازن بين البشر، وسادت المحبة التي تعني النفوس وتجعلها متجهة الى الله. من هنا نرى الجمع يشجّع التقدّم على جميع الاصعدة وخلق المشاريع وتوسيعها وتطوير الأساليب لتصبح ملائمة، والجهود المتصلة من قبل كل الذين يساهمون في الانتاج، وبالاختصار يجب تشجيع كل ما يستطيع ان يكون له دور في هذه الانطلاقة"٢٥. فالتقدّم في طرق الانتاج وفي تنظيم الخيور والخدمات يجعل من الاقتصاد وسيلة خليقة بقضاء حاجات العائلة البشرية المتزايدة، وذلك لمجابهة ازدياد السكان ولاشباع الجنس البشري ورغباته الآخذة في الانتشار لرفع مستوى الحياة على جميع الأصعدة. والعمل الذي يمارسه البشر بالانتاج وتبادل

٢٤. المرجع نفسه، ٦٤.

٢٥. المرجع نفسه، ٦٤.

الخير أو تقديم الخدمات الاقتصادية له الأولوية بالنسبة الى سائر عناصر الحياة. واعتباراً لمهام كل فرد ولطاقة انتاجه واعتباراً لوضع المؤسسات والخير العام يجب ان تضمن أجور العمل للانسان الموارد التي تسمح له ولعائلته بحياة لائقة على المستوى المادي والاجتماعي والثقافي والروحي. وهنا ينبه المجمع الى أنه "في مناطق كثيرة ومتخلفة اقتصادياً هناك ممتلكات ريفية واسعة وشاسعة لا يُحسن استغلالها، بينما يحرم معظم السكان من الأراضي أو لا يملكون منها إلاّ مساحات ضئيلة. وعلاوة على ذلك هناك حاجة ماسّة وصريحة الى ازدياد الانتاج الزراعي"^{٢٦}. فاذا ما تمّ تحسين الاراضي والممتلكات من قبل الدول القادرة يؤمنون للانسان عيشاً كريماً واحتراماً لشخصه وكرامته.

وباختصار ان ارتباط الانسان بالشأن الاقتصادي هو ارتباط فعلي، من خلاله تتوفر الكرامة البشرية وتحفظ كما يريد الله الذي خلق خيرات الارض لكي يكون الانسان في بجدوة ودون عوز. وهذا الارتباط يعود الى كون الانسان صاحب رسالة في هذا الكون، وليقوم بهذه الرسالة عليه ان يؤمن عيشه باستمرار لكي تتوفر له القوى الطبيعية المساندة لمسيرته الخلاصية. فالاقتصاد عنصر مهمّ في حياته، وعليه تقوم مقومات جهوده البشرية المتضافرة مع القوى الروحية.

٢٦. المرجع نفسه، ٧١.

وإنه أيضاً من الضروري مساعدة الانسان لأخيه الانسان، خصوصاً إذا توفرت له الامكانيات. فالتعاون واجب، وقد أكد عليه المجمع مراراً انطلاقاً من مفهومه لجسد المسيح السري الذي تتوحد فيه القلوب وتتشابك الأيدي في سبيل تحقيق الرسالة الأساسية للانسان على هذه الارض. وفي النهاية ان الغاية الاولى والاخيرة هي تمجيد الله، والله يتمجد في الروح كما يتمجد في المادة على حد سواء، شرط ان تكون نية العمل صافية، وشرط ان يكون كل عمل لخدمة الله والبشرية جمعاء. وإنه لمن الضروري ان يكون تمجيد الله في العمل اليومي كما في الصلاة والتأمل. والعمل، بحد ذاته، هو صلاة مستمرة، وكم ذكر المجمع بدور العمال في نشاطهم الذي يقومون به في المعامل والمصانع كما في الحقول وغير ذلك. كل ذلك يصب في خانة تمجيد الله وخدمة النفوس. وعلى هذا الأساس ارتباط الانسان بالاقتصاد هو ارتباط مقدس، شرط ان يكون مستنداً الى الوعي المسيحي الحر الذي هو وعي تبشيري وتقديسي على حد سواء.

الفصل الثاني عشر

الانسان والاحاد

الاحاد ينتج غالباً من احتجاج وثورة على الشرّ في العالم، أو من تكريس بعض المثل البشرية وطبعها بطابع مطلق الى حدّ أنها تعتبر كالله. وذلك لأن حضارة اليوم تبشّر بموت الله وترتبط ببعض الحقائق الارضيّة التي تشبع نهم الانسان الى الملذات والى التسلّط بحيث ان فكرة الله الخالق والموجّه هذا الكون والساھر عليه لم تعد تدخل الى أعماق القلب الانساني، وبالتالي لأن الانسان نفسه راح يرى في ذاته إلهاً مصغراً يبني آماله على ما يحلم به من سيطرة على الكون كلّه والتصرف به على هواه. من هنا كان لآباء المجمع الفاتيكاني الثاني موقفاً تحديدياً لهذا الاحاد، الذي يعتبر إحاداً معاصراً، ويقولون فيه: "إن الاحاد الحديث يظهر غالباً بشكل مذهبي يدفع بميل الانسان الى السيادة الى حدّ يصعب فيه الارتباط بالله - هذا بقطع النظر عن بقية الاسباب - ويتمسك المنادون بالحاد من هذا النوع ان الحرية تقوم بما يلي: الانسان هو غاية في ذاته، هو الذي يصنع تاريخه وينظمه بذاته. ويزعمون ان هذه النظرة الى الواقع لا تتفق والاعتراف برب صانع وغاية كلّ شيء. أو على الأقل

إن هذه النظرة تجعل هذا التأكيد الأخير تافهاً. وقد يزداد هذا الاعتقاد رسوخاً بفضل الشعور بالقوة الذي يمنحه للانسان تقدمه في حقل التقنيّة. وعليّنا ألاّ نعرض، في عداد الاتحاد المعاصر، عن ذلك الاتحاد الذي يهدف الى تحرير الانسان خاصّة في حقل الاقتصاد والاجتماع. ويزعم قوم ان الديانة بحدّ ذاتها تقاوم هذا التحرير بقدر ما تحول أبصار الانسان عن بناء المدينة الارضية إذ تبني رجاء الانسان على سراب حياة مستقبليّة. ولذلك يهاجم اتباع هذه العقيدة الديانة هجوماً عنيفاً حيث يصبحون أسياد الحكم فيستعملون لنشر الاتحاد، خاصة فيما يتعلّق بتربية الشبان، كلّ وسائل الضغط التي هي في متناول السلطة العامة"^١.

هذا الاتحاد هو النتيجة الحتميّة لتقصير في التربية الروحية التي لم تكن موازية للثقافة العلمية، بحيث ان الانسان يعتبر ان العلوم بإمكانها ان تحلّ مشاكله جميعها دون العودة الى الله. ولقد غاب عنه ان وجود الله في قلبه هو الوجود الفاعل الحقيقي الذي يعطيه بعداً ماورائياً، وبالتالي بعداً حقيقياً للايمان الثابت في وجه عواصف الحياة المتفاعلة مع أشياء الارض الزائلة. وانطلاقاً من هنا يؤكد آباء الجمع على ان الكنيسة "لا تستطيع إلاّ أن ترذل بحزن وبمنتهى الشدّة، كما فعلت في الماضي، هذه التعاليم وهذه التصرفات

١: دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٢٠.

المشؤومة التي تعاكس العقل والاختبار العام وتحطّ من قدر الانسان ومن نبلة الموروث. غير انها تجتهد ان تدرك، كما يراها الملحدون، الاسباب الخفية لنكران الله. وانها لتعي تماماً خطورة المشاكل التي يطرحها الالحاد. وبما ان حبّ جميع الناس هو الذي يدفعها لأن تعتبر ان من واجبها إخضاع هذه الأسباب الى فحص رزين وعميق. ومع ذلك فان الكنيسة، وان رفضت الالحاد رفضاً باتاً، تعلن مع ذلك بكل صراحة ان على البشر أجمعين، مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين، ان يكبّوا على بناء هذا العالم في العدل، هذا العالم الذي يحيون فيه معاً: ولن يتم ذلك حقاً إلا بالحوار الصريح الحكيم. فالكنيسة تأسف إذن للتمييز في المعاملة بين مؤمنين وغير مؤمنين الذي تقوم به بعض السلطات المدنية بطريقة ظالمة محترقة حقوق الانسان الأساسية. إنها تطالب للمؤمنين بالحرية العملية وبامكانية بناء هيكل الله في هذا العالم"^٢.

فالكنيسة، إذن، تشدّد على مدى التفريق بين المؤمنين وغير المؤمنين، وترفض التمييز في المعاملة التي تقوم بها السلطات المدنية الظالمة، محترقة حقوق الانسان، ولا سيما حقوقه الدينية التي هي في صميم وجوده وكيانه. فالانسان خلقه الله حراً مميّزاً عن جميع المخلوقات، واعطاه حقّ تقرير مصيره في هذا الوجود، مشعلاً في قلبه نور الايمان لكي

٢. المرجع نفسه، ٢١.

يعرف خالقه عن عمق ويسير في طريق مشوراته وتعاليمه التي توصله الى كماله والى سعادته الأبدية. من هنا فان كثيرين من المسيحيين يساهمون في هذا الاتحاد باهمالهم، والكنيسة تنبّههم الى ذلك لأنه على المسيحي ان يكون مثالا في توجيه الناس الى خالقهم وعبادته والعمل على إرضائه. والجمع، إذ ينبّه الى ذلك، يعيد أصل الاتحاد هذا الى التهاون في القيام بالواجبات المفروضة على كلّ واحد في مسيرته الخلاصية. وبهذا المعنى يقول: "أجل ان الذين يحاولون عمداً نزع الله من قلوبهم وابعاد المشاكل الدينية بعدم تلبّيتهم أوامر ضميرهم لا يتبرأون من كلّ اثم. غير ان المؤمنين أنفسهم غالباً ما يتحمّلون في هذا الصدد قسماً من المسؤولية. فاللحاد، إذا ما نظرنا إليه نظرة إجمالية ندرك ان لا مبرر له في ذاته بل في أسباب متعدّدة، منها ردّة فعل مبنيّة على انتقاد الديانات وفي بعض المناطق ردّة فعل خاصّة تجاه الديانة المسيحية. ولذلك قد يكون للمؤمنين في نشأة اللحاد قسط غير يسير بقدر ما يحجبون وجه الله الصحيح ووجه الديانة أكثر ممّا يظهرونه ويكشفون عنه سواء باهمال العناية بايمانهم وبعدم تغذيتهم، أو باظهار وعرض العقيدة عرضاً غاشاً أو بكبوات حياتهم الدينية والاخلاقيّة والاجتماعيّة"^٣.

٣. المرجع نفسه، ١٩.

فالمسيحيون، وهذا ما يأسف له المجمع، يساهمون
 بالاحاد من خلال اهمالهم لواجباتهم الدينية، وبنوع خاص لما
 هو متوجّب عليهم من مثل صالح في مسيرة حياتهم
 المسيحية. وإذ يعيشون حياة الاستهتار وعدم الالتزام
 بايمانهم، يدفعون الآخرين الى العيش مثلهم، مبتعدين عن
 الله، ومقدّرين القيم الانسانية كأنّها حلّت محلّ الله،
 ومتناسين ان لا قيمة للوجود إلّا من خلال الايمان به تعالى
 والتبشير باسمه، والاتكال عليه في كلّ شيء. لذلك يدعو
 المجمع المسيحيين للمساهمة في دحض هذا الاحاد قائلاً: "أمّا
 في ما يتعلّق بدواء الاحاد فيجب ان ننتظره من عرض
 العقيدة عرضاً مناسباً من جهة، ومن جهة ثانية من نقاوة
 حياة الكنيسة وحياة أعضائها. أجل إن من واجب الكنيسة
 ان تجعل الله الآب وابنه المتجسّد حاضرين وشبه منظورين،
 إذ تتجدّد وتنقّي باستمرار تحت قيادة الروح القدس. إن
 الكنيسة بحاجة على الأخص الى شهادة الايمان الحي الناضج
 أي ذلك الايمان الذي أعدّ ليتعرف بوضوح الى الصعوبات
 فيستطيع ان يتغلّب عليها. هذا هو الايمان الذي شهد له ولا
 يزال، شهادة رائعة، كثيرون من الشهداء. وان خصب هذا
 الايمان يجب ان يظهر بنفوذه الى حياة المؤمنين كلها، حتى
 حياتهم العالمية، عليه ان يقودهم الى إحلال العدالة والحب
 خاصة بين المعمّدين، وأخيراً أن ما يساهم أحسن المساهمة في
 إظهار وجود الله وحضوره، هو حبّ المؤمنين الأخوي الذين

يعملون بقلب واحد من اجل إيمان الانجيل، فيظهرون
وكانهم رمز للاتحاد"٤.

هذا الايمان، إذن، هو على أساس محاربة الاتحاد في
صميمه، لأنّ المؤمن بالله يعمل على تحقيق وجوده في قلب
الانسان وعلى السير قدماً بتوجيهاته وبتعاليمه السماوية التي
ترشد الى العلامة الوطيدة بين الخالق والمخلوق. وان كل
عضو من أعضاء كنيسة المسيح عليه ان يعتبر ان المسؤولية
يجب أن تكون على عاتقه في التبشير بما حمله المسيح من
بشارة خلاصية الى البشر، لأنه عضو في جسده السري وفي
قلب المجموعة المؤمنة التي تتكاتف لتبني هذا الجسد بالايمان
المسؤول وبالرجاء المحبّ وبالحنّة المعطاء. والشهادة هنا هي
شهادة الذين يقدّمون ذواتهم لله ضحية عن جميع البشر
الذين لم يعرفوا حقاً الدور الخلاصي الذي حمله المسيح
إليهم. فالشهادة هي شهادة كلمة كما هي شهادة دم، وهي
التأكيد الدائم على ان الله موجود في العالم، يسيّره بارادته
القدوسة، ويدفعه الى الأمام ليكون في لقاء مستمر مع خالقه.
من هنا فالجمع يشدّد على انتشار الانجيل بين الأمم، وعلى
ان يكون المسيحيون هم الرسل لانتشاره معلناً عن ذلك
بقوله: "فليحرص الجميع إذاً في التعليم المسيحي وفي الوعظ
بكلام الله على ألاّ يعلّموا شيئاً لا يتلاءم مع الحقيقة

٤. المرجع نفسه، ٢١.

الانجيليّة ومع روح المسيح"٥. وإذ يتوجه المجمع أيضاً الى الرعاية يقول: "والى جسم الرعاية يعود الاهتمام بالتبشير بالانجيل في الارض كلّها، هؤلاء الرعاية الذين أوصاهم المسيح وصية مشتركة وكلّفهم بواجب مشترك حسب ما سبق فأوصى البابا سلسطينوس آباء المجمع الأفسسي"٦. فالجمع إذن يذكر بان الرعاية هم عواميد الايمان كما ان الرسل من قبلهم، وعليهم ان ينشروا كلمة المسيح وانجيله في اقطار المسكونة لكي لا يتفشّى الالحاد، ولكي لا يكون الايمان بالله منقوصاً. وعلامات الأزمنة يجب ان تكون الحافز للكنيسة لكي تقوم بمهمّتها أحسن قيام، مفسّرة الانجيل على ضوء الايمان، وموكلة الى الاساقفة والى الكهنة مهمّة الكرازة ببشارة المسيح حتى يغمر نور الانجيل كلّ نشاطات المؤمنين الأرضية.

فعلى كلّ أولئك الذين يتكرّسون لخدمة الكلمة الالهية ان يستعملوا طرق الانجيل ووسائله الخاصة، التي تختلف في نقاط كثيرة عن طرق المدينة الأرضية وأساليبها، لكي يوقفوا تفشّي الالحاد، ولكي يكون الانسان راسخاً في ايمانه، ولكي يعمل من خلال هذا الايمان الذي يهديه الى حقيقة وجوده الارضي وخلاصه الأبدي. فالله ينتظرنا على كلّ قارعة

٥. المرجع نفسه، ٤.

٦. دستور عقائدي في الكنيسة، ٢٣.

طريق وفي كلّ حركة من حركاتنا لكي يؤكّد لنا على وجوده بيننا وعلى سهره علينا. ونحن بدورنا علينا ان نقرأ علامات الأزمنة في كلّ حدث يمرّ علينا، معترفين بقدره الله الفعّالة التي توطّد الايمان في قلبنا وفي ضميرنا وفي عقلنا فتستنير طريقنا ونعرف ان خلاصنا الحقيقي هو في التأكيد على ايماننا به تعالى.

غير ان هذا الاتحاد المعاصر قد اتّخذ اليوم أوجهاً متعدّدة لفت إليها المجمع من مثل تفشّي عبادة الذات وعبادة المملذات الجسدية وعبادة المال وعبادة الاشياء الزمنية التي تغذّي الانسان وتبعده عن ربّه. وتجاه هذا الفلتان شدّد المجمع على الانضباط الاخلاقي بالحشمة وتقدير الفضائل السماوية والانسانية. فعبادة الذات تنفي عبادة الله الخالق، وعبادة المملذات الجسدية تجعل الميزان العقلي غير متزن ومنور بالحقيقة، وعبادة المال تنسي الانسان الله وتنسيه أنه نبيّه الى عدم عبادة ربين: الله والمال، وعبادة الأشياء الزمنية تنسيه مجد الحياة الخالدة فيغرق في بؤرة الفساد العالمي الذي يترك الله جانباً ويتعلّق بما هو زائل ولا ثبات له. ولقد كان خوف آباء المجمع كبيراً على البشرية جمعاء التي نسيت الله وغرقت في هذا الفساد الذي جعل الانسانية عرضة الى التفكّك المستمرّ والتقاتل والتناحر على خيرات الارض بدل ان تفكر بخيرات السماء التي أعدّها الله لمن يؤمنون به.

وبهذا المعنى ذكر المجمع المؤمنين قائلاً: "وليتذكر المؤمنون جميعهم أنهم يعززون وحدة المسيحيين، لا بل يمارسونها بمقدار ما يجتهدون في أن يحيا حياة أشدّ طهراً بحسب الانجيل"^٧. ويزيد قائلاً: "وليعلموا انه لا يمكنهم ان يتصرفوا، في حياتهم، كما يحلو لهم، بل يفرض عليهم أن يتبعوا دائماً ضميرهم، ذلك الضمير الذي يجب ان يطابق شريعة الله، وليظلوا خاضعين لسلطة الكنيسة التعليمية، التي يحق لها ان تشرح هذه الشريعة على نور الانجيل"^٨. ولكن، وهنا يؤكد المجمع على وحدة الكلمة في المسيح، إذ يلفت النظر الى انه إذا كان هناك مسيحيون لا يفهمون الانجيل على غرار الكاثوليك في المسائل الأدبية، ولا يقبلون الحلول نفسها في المشاكل الصعبة مجتمعة اليوم، إلا أنهم يريدون، مع ذلك، التمسك بكلمة المسيح كمصدر للقوة المسيحية ضدّ الاتحاد. وهذا التمسك هو الذي يوحد الصفوف في وجه التيارات الملحدة التي تضرب الكنيسة من كل جانب، لا سيّما وان البدع الكثيرة قد تفشّت في النصف الثاني من القرن العشرين بطريقة غير معقولة من عبادة للشيطان ومن عبادة للانسان نفسه.

٧. قرار مجمعي في الحركة المسكونية، ٧.

٨. دستور راعوي في الكنيسة وعالم اليوم، ٥٠.

كذلك فان الكنيسة تمسكت وتمسك بشكل قاطع ومطلق بان الانجيل يحمل بامانة ما عمله يسوع ابن الله لخلاص البشرية، وعلى غرار الرسل من بعده، وذلك بالفهم المتكامل للألوهة وللدور الأبوي الذي يحققه الله في كل انسان. والتعلق بالانجيل وبتعاليمه يبعد الاحاد عن مسيرة الانسانية، ويعرف الانسان حينئذ ان الله وحده هو المرجع وهو الحقيقة المطلقة التي ما بعدها حقيقة. وانطلاقاً من هذه الحقيقة تستمد البشرية خلاصها. والصراع القائم اليوم بين عبادة الله وعباد الشيطان هو صراع كان منذ بدء التاريخ. لذلك لا خوف على المؤمن لأن الله يسانده، ولا خوف على الذين يعيشون بخوف الله، لأن الاحاد لا طريق له الى قلوبهم.

اما وقد توضّح جيداً للبشرية بمعظمها ان الكنيسة هي حاملة رسالة المسيح، فمن واجبها المطالبة بالحرية الكاملة في المجتمع البشري وتجاه أية سلطة عامة بصفتها سلطة روحية أسسها المسيح الرب وتكلّفت بانتداب إلهي لتذهب في العالم كله وتبشّر كل خليفة بالانجيل، وذلك لكي تثبت الانسان بنعمة الله وتبعد التفكير بآلهة اخرى غير الاله الحق. وعندما نقول بآلهة اخرى، فاننا نعني ان انسان اليوم معرض لتأليه كل شيء يمدّه بالراحة والحبوحة والملذات الدنيوية، غاضاً النظر عن حقيقة خلقه من إله محب قادر على

مساعدته لينال خلاصه الأبدى. من هنا ينبّه المجمع المؤمنين قائلاً: "وليُعلموا انه لا يمكنهم ان يتصرّفوا، في حياتهم، كما يحلو لهم، بل يفرض عليهم ان يتبعوا دائماً ضميرهم، ذلك الضمير الذي يجب ان يطابق شريعة الله، وليظلّوا خاضعين لسلطة الكنيسة التعليميّة، التي يحقّ لها ان تشرح هذه الشريعة على نور الانجيل"^٩. إذن، على المؤمنين، لكي يجابهوا التيارات الملحدة التي يطلع بها العالم كلّ يوم، ان يعودوا الى تعاليم الانجيل والكنيسة لأنها التعاليم الوحيدة التي تهديهم الى الله. والله، بدوره، يسبغ على هؤلاء المؤمنين الذين يتقيّدون بتعليم نور الانجيل النعم الضرورية لمحاربة الالحاد، ومحاربة كلّ ما يقف في طريق الانسان الذي يسعى الى العيش مع الله.

فالاحاد، إذن، هو نتيجة هذا البعد عن تعاليم الانجيل والكنيسة، وهو ايضاً نتيجة الفقر الروحي الذي مُني به العالم المعاصر. وكلّ ما يهدف اليه هذا العالم هو الحصول على ملذات آنيّة وعابرة، معتبراً إيّاها كلّ ما في الوجود. واجمع الفاتيكاني الثاني الذي شغله موضوع الالحاد بشدّة هدف من خلال توقّفه عليه الى تنبيه ضمائر البشر للعودة الى إصالة الايمان، لأنّه بالايمان وحده يكون للوجود الانساني معنى. وليس غريباً عن مفهوم الكنيسة ان كلّ تيارات

٩. المرجع نفسه، ٥٠.

الاحاد اليوم هي من هذا الفقر الروحي الذي نال من الانسان المعاصر لأن الكنيسة نفسها قصّرت في القيام بدورها التوجيهي الكامل. من هنا دعا المجمع جميع المسؤولين في كنيسة المسيح للعمل دون هوادة على زرع الايمان في قلوب الناس، ولا سيّما المؤمنين منهم، لكي يتأصل هذا الايمان بالعمق، ولكي يقتلع الاحاد من أساسه.

وباختصار إن موضوع الاحاد يشغل الكنيسة اليوم بكلّ أبعاده، لا سيّما وان العصر الحالي هو عصر البعد عن الله، أو عصر التبشير بموت الله. وللعودة الى الله ونفي هذا الاحاد تجب التربية المسيحية الحقيقيّة التي تضع الانسان في صلة عميقة مع خالقه. وهذه هي خلاصة تعليم المجمع الفاتيكاني الثاني عن الاحاد.

الفهرس

صفحة

٤	للمؤلف
٥	المطران عبده خليفه و"انسان المجمع الفاتيكانى الثانى"
٩	مقدمة عامة: المفهوم الكتابى واللاهوتى والفلسفى والآبائى للانسان قبل المجمع الفاتيكانى الثانى
٤١	الفصل الأول: هوية الانسان وكرامته
٥٥	الفصل الثانى: حقوق الانسان
٦٩	الفصل الثالث: الانسان والخلاص
٨٣	الفصل الرابع: الانسان والخطيئة
٩٣	الفصل الخامس: الانسان والألم
١٠٩	الفصل السادس: الانسان والتوبة
١٢٣	الفصل السابع: الانسان والتربية
١٣٣	الفصل الثامن: الانسان والثقافة
١٤٩	الفصل التاسع: الانسان وتقدم العلوم والتقنيات
١٥٩	الفصل العاشر: الانسان والسياسة
١٧١	الفصل الحادى عشر: الانسان والاقتصاد
١٨٩	الفصل الثانى عشر: الانسان والاحاد



مطبعة الحرية

شارع الطحان مستوفى - ملوك ناصيف مجاني - الاشتراكية
تلفون ٣٢.٤٤٠ - بكيروت - لبنان

